التذكرة في طلب النجاة

و المغفرة

التذكرة في طلب النجاة و المغفرة

القاضي المستشار ربيع زهر الدين

اسم الكتاب: التذكرة في طلب النجاة و المغفرة.

المؤلف: ربيع زهر الدين.

سنة الطباعة: 2015

عدد النسخ: 1000

الترقيم الدولي: ISBN 978-9933-22-065-5

جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في:

دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار ومؤسسة رسلان

للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا –دمشق – جرمانا

هاتف: 00963 11 5627060

00963 11 5637060

فاكس: 00963 11 5632860

ص. ب: 259 جرمانا

www.darrislan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

- مدخل -

الحمد لله رب العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف مخلوق وعلى آل بيته الطّاهرين

أما بعد:

لا أحاول من خلال هذا الكتاب الخوض في مسألة الوصول إلى موعد قيام الساعة لأن الساعة لا يعلمها إلا الله حيث قال سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: **"وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أهو أقرب"**[1] ولكنه سبحانه وتعالى بيّن لنا علاماتها وعلامات قربها .

ولا أقصد من هذا الكتاب أن أدعو الناس إلى الإعتكاف إلى مُصلاّهم، ومجالسهم، وخلواتهم، وكنائسهم، وأديرتهم، ومعابدهم، وانتظار الموت، وانتظار قيام القيامة.

---

(1) المرجع (سورة النحل الآية 77)

ولا أريد أن تتوقف عجلة الحياة عندهم بل أدعوهم إلى التذكر، والاعتبار، وأخذ الحيطة والحذر، والتزود بزاد التقوى والعمل الصالح.

فإذا ضاقت عليك نفسك وضاقت عليك الأرض بما رحُبت، وأصبح الكون الفسيح كأنه زنزانة ليس فيها إلا موضع قدميك، وأحسست بالأنفاس تتحشرج في صدرك وكأن أضلاعك تختلف بين جنبيك فأين المفر؟ ولمن المفزع؟

ونحن نسير في دروب الحياة، ونتقلب على هذه الأرض، كم نحن بحاجة إلى وقفة وجدانية أخلاقية.

وقفة نجدد فيها الإيمان في القلوب، ونزيل غبار الغفلة والذنوب.

تعالوا بنا اليوم نجلس مع أنفسنا جلسة تزكية، ومصارحة نقّلب فيها بعض الصفحات ونستلهم شيئاً من العظات لعل الله سبحانه وتعالى أن يجمعنا في دار الأمان.

الموت

أتحدث إليكم عن حقيقة عظيمة من حقائق الإيمان، من أنكرها كَفَرَ وأصلاه الله سبحانه وتعالى سقر، حقيقة عظيمة أوصانا المولى عز وجل بكثرة ذكرها، ومع هذا فالكثير منا يشمئزون عند ذكرها ولا يحبون الحديث عنها، إنها حقيقة الموت، فكل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.

إنها الحقيقة الكبرى كل حيّ سيفنَى وكل جديد سَيُبْلَى وما هي إلا لحظة واحدة في مثل غمضة عين أو لمحة بصر تخرج فيها الروح إلى باريها.

ذهب العمر وفات يا أسير الشهوات ومضى وقتك في سهو ولهو ونسيان بينما أنت على غيك حتى قيل مات.

عجباً كيف تتجرأ على الله وأرواحنا بين يديه؟

وكيف تستغفل رقابته والموت بأمره؟

فمما روي أن ملاك الموت دخل على سيدنا داوود عليه السّلام فقال: مَنْ أنت؟ فقال ملاك الموت: أنا مَنْ لا يهاب الملوك، ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشوة. قال: أذاً أنت ملاك الموت؟ قال: نعم، قال: أتيتني ولم استعد بعد؟ قال: يا داوود أين فلان قريبك؟ أين فلان جارك؟ قال: مات، قال: كان لك في هؤلاء عبرة لتستعد؟

هو الموت ما منه ملاذ ومهرب؟ بل ربما نرى بعض المشيعين يضحكون ويلهون أو يكونوا قد حضروا رياءً وسمعةً بسبب الغفلة وقسوة القلوب.

ليلتان اثنتان يجعلهما كل إنسان في ذاكرته، ليلة في بيته مع أهله وأطفاله منعماً سعيداً، في عيش رغيد، وفي صحة وعافية، يضاحك أولاده ويضاحكونه، والليلة التي تليها، بينما الإنسان يجر ثياب صحته منتفعاً بنعمة العافية فرحاً بقوته وشبابه إذا هجم عليه المرض، وجاءه الضعف والوهن بعد القوة، وحل الهمّ من نفسه محل الفرح، فبدأ يفكر في عمرٍ أفناه وشبابٍ أضاعه ويتذكر أموالاً جمعها، ودوراً بناها، ويتألم لدنيا يفارقها، وذرية ضعاف يخشى عليهم الضياع من بعده وقد استفحل الداء، وفشل الدواء وحار الطبيب وبئس الحبيب وجاءت سكرة الموت بالحق

ذلك ما كنت منه تحيد، ونزلت به السكرات وصار بين أهله وأصدقائه ينظر ولا يفعل، ويسمع ولا ينطق، يقلّب بصره فيمن حوله من أهله وأولاده وأحبائه وجيرانه ينظرون إليه وهم عن إنقاذه عاجزون ((**فَلَوْلا إذا بَلَغَت الحُلقوُم وأنتم حينئذٍ تنظرونَ ونحنُ أقربُ إليه منكم ولكن لا تُبصرونَ**)) [2] ولا يزال يعالج سكرات الموت، ويشتد به النزع حتى إذا جاء الأجل ونزل القضاء فاضت روحه إلى عنان السماء فأصبح جثة هامدة بين أهله.

وقد قيل: مَنْ أكثر ذكر الموت أُكرم بثلاثة: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومَنْ نسيَ الموت عوجل بثلاثة: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف والتكاسل بالعبادة.

وأعلموا أن تذكُّر الموت لا يعني كثرة الحزن وطول النحيب مع الإقامة على التفريط. أن تذكرنا للموت يجب أن يقترن بتخوفنا من سوء الخاتمة، والأعمال بالخواتيم كما ذكر شيخنا الجليل أبو حسين أحمد سلمان الهجري رحمه الله تعالى.

[2] (سورة الواقعة الآية 83)

ولما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: والله ما أبكي لذنب أعلم إني أتيته، ولكن أخاف إني اتيت شيئاً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم.

فيا مَنْ قطعت صلتك بالمجالس والخلوات، وجعلت المزارات للزيارات الترفيهية، وعقد الدبكات ماذا تقول إذا بلغت الروح الحلقوم؟

و يا مَنْ أنشأت أولادك على الفساد و الرذيلة؟ و يا مَنْ أدمنت الخمور والمخدرات ووقعت في الزنا وهتك الحرمات؟

ويامَنْ ظلمت العباد وسعيت بالفساد؟ هل ستوفق عند العرض بين خالق الكون والسموات و سيد العرب والعجم يوم الحساب الأكبر؟

يا هاتك الحرمات ماذا تفعل؟ يا واقع في الفواحش ما ظهر منها وما بطن أما تستحي وتخجل؟

يا مبارزاً أقوالك بالخطايا تمهّل فالكلام مكتوب والقول محسوب. إذا زرت المقبرة قف أمام قبرٍ مفتوح وتأمل اللحد الضيق وتخيل إنك بداخله وقد أغلق عليك الباب

وانهال عليك التراب وفارقك الأهل والأولاد، وقد أحاطك القبر بظلمته ووحشته، فلا ترى إلا عملك، فماذا تتمنى يا ترى في هذه اللحظة؟

ألا تتمنى الرجوع إلى الدنيا لتعمل صالحاً لتسبح تسبيحة، لتذكر الله تعالى ولو مرة؟

ها أنت على ظهر الأرض حياً معافى، فاعمل صالحاً قبل أن تعض على أصابع الندم وتصبح في عداد الموتى؟

سبب هذا الكتاب

ها أنا على فراش الموت أترقب لحظاتي الأخيرة، جرت في عيني دمعة لم استطع أن أفسر معناها، هل هي حزن على مفارقة الحياة؟ أم هي ندم على الأخطاء. والذنوب التي تثقل نفسي؟ أم هي ندم على الوقت الذي ضيعته ولم استغله بالعمل الصّالح؟

أمكثُ في الفراش رغم الحشود التي تزورني بشكل دوري، إلا إنني أشعر إني وحيد إني وحيد . . . وحيد . . . وحيد . .

بين الساعة والدقيقة يأتي صديق أو قريب، ويذهب آخر، أسمع منهم كلمات المواساة التي لا تواسيني، وأصواتهم، ودعائهم لي بالصحة والعافية التي لا تعزيني.

يزورني الأقارب، وتسهر زوجتي من أجل راحتي الغير منشودة، والغير موجودة، وأبنائي قلقون خائفون وجلون، عيونهم الصغيرة شاخصة إليّ وأيديهم الحنونة تلامس شعري وجبهتي، أنظر إليهم بحزن ليتني استطيع أن أقول لهم: أرحلوا عني، وأقضوا

عمركم وحياتكم بالعبادة والتوبة والعمل الصّالح، فهذا أفضل لكم، ولا تنسوا نصيبكم من الدنيا .

عندما يأتي المساء أتظاهر بالنوم، حتى أختلي بنفسي أفكر وأفكر وأتمنى لو تهرب الأفكار مني، لكن على هذا الفراش لا أستطيع أن أفعل شيئاً سوى النظر، والتفكير، والندم، والتمني، وزوجتي بجانبي خائفة مصفرة وجلة على مستقبلي ومستقبل أولادي، وتنظر إلى عنان السماء، وتبسط يديها، وترفع رأسها نحو العلياء متوسلة الباري عز وجل ومبتهلة له بقلب واجف خاشع، ودمعة حزينة تستحي أن تسقط على الأرض، لأنها تخرج من لهيب القلب، ومن كبدٍ محروق، وفؤاد محزون، داعية لي بالشفاء العاجل.

أتمنى لو لم أجرح ذلك الشخص، ولم أكذب على ذلك، واتمنى. . .واتمنى. . .لو. . .ولو. . .ولو. . .

لكن أنا الآن على فراش المرض.

فلو طلبت العفو من ربي هل يغفر لي ربي وسيدي؟

ما أقبحني من إنسان إني إنسان ضعيف منهك القوى، عاجز مذلول، أطلب المغفرة من مولاي وسيدي!

أين كنت في قوتي؟ أين كنت في صحوتي؟

كنت ألهو هنا وهناك، وأذكر أي شيء إلا ربي وسيدي، الآن أذكر الله. وأطلب منه السماح والمغفرة.

ما أقبحك يا نفسي

آه لو يرجع العمر سنيناً إلى الوراء حتى أعلن توبتي وأعمل لصفاء روحي، فعسى أن يستقبلني ساداتي استقبال المؤمنين الأتقياء.

يا نفسي...

كيف ستواجهين الموت؟ نعم الموت تلك الكلمة التي طالما هربت منها ها أنتِ الآن في ساعة السكرة ماذا تتمنين؟ أتمنى إمهالي ساعة أو عشر دقائق..........

ويحكِ يا نفسي لماذا؟

كي تتداركي عمركِ......كي تتوبي.......كي تردي المظالم.......

"حتى إذا جاء أحدهم الموت قال: "ربي أرجعني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت"[3]

انتهى كل شيء، انتهى العمل، انتهى مقامكِ، ومكوثكِ في الدنيا؟ سترحلين إلى دار الجزاء....

---

(3) (سورة المؤمنين لآية 100)

فجأة انطفأ نور عيني وتوقفت دقات قلبي وإذا بملاك الموت يطبق على روحي ويلقي القبض عليها .

انطفئت شمعات عمري وانتهى يومي وشهري، قد رحلت بلا إياب نحو أكفاني وقبري، وبكت زوجتي عليِّ وبكى والدي وحزن، ولم تبكي أمي؟ وجمدت الدمعة في مقلة زوجتي وانحبس لسانها عن الكلام وتبسمر. أولادي الصغار على الأرض، ونعاني صوت دهري تحت تراب الأرض، صرت أشتكي من ثقل وزري.

آه من دنياي لما ألبستني ثوب غدري

آه من دنياي لما اشربتني كأس غدري

عشت فيها في سرور دون هم دون كدر .

ليتني مت مطيعاً، ليتني نورت قبري، ليتني مثل رسولي مت في عز وفخر وهنا استيقظت فجأة وصحوت من مرضي وكأني صحوت من سكرات الموت نطقت من فوري:

استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

له المُلك وهو على كل شيء قدير

((ربَّنا اصْرف عنَّا عَذاَبَ جهنم إن عذابها كان غَرَاماً))[4]

ماذا أقول لربي إذا ما قال لي يوماً أما استحييت تعصيني أو تخفي الذنب عن خلقي، وبالعصيان تأتيني؟

فما قولي له لما يعاتبني ويقصيني في ظلمة القبر؟ لا أم هناك ولا أب شفوق ولا أخ يؤنسني.

(4) (سورة الفرقان الآية 65)

أخواني أخواتي

كلنا سنموت، والله كلنا سنموت كلنا سيدخل القبر، كلنا سيسأل، كلنا سيحاسب.

يا رب أمتنا على طاعة ترضيك حتى نُبعثُ يوم القيامة موحدين مؤمنين مخلصين.

تخيل معي أخي الحبيب، وأنت جالس تتكلم كالعادة مع رفاقك وأصحابك من خلال جهاز هاتفك، أوتسمع الموسيقى، وفجأة سمعت أهلك يصرخون وكأنهم أوشكوا على الهلاك.... ركضت لتعرف ما سبب الصراخ؟؟

وجدت الناس كلهم ينظرون إلى السماء بدهشة !!!!!!!!؟؟

أنها الشمس نعم الشمس لقد أشرقت من المغرب؟ نعم من المغرب؟

أتعرف ما معنى هذا؟ باب التوبة قد أقفل ورفعت الأعمال عند الله السيئة منها والحسنة، لم تعد تنفع توبة تائب، ولا كلمة يا أمي أحميني، بعدها تقوم القيامة، ويبدأ الحشر والحساب، وينادى كل واحد باسمه:

فلان بن فلان، أنت فعلت كذا وكذا ؟ ماذا أعددت لهذا اليوم؟

لا شيء، طبعاً هذا كله مقدمة.....؟ تخيلت الموقف.....خوف......وندم.....وذعر......

هذا اليوم يقوم ونحن بغفلة......

مَنْ منكم قد فكّر إننا نعيش الآن أهوال القيامة ونحن لا ندري !!.... أنظروا حولكم للحظة وسترون أن الساعة قد اقتربت....انفلونزا الخنازير الذي أصبح بمثابة وباء عالمي إنه علامة من علامات القيامة.....؟

أتذكرون حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن وباء آخر الزمان وأنه سيكون من الخنزير وأن الناس سوف تبدأ بقتل الخنازير حتى ينزل السيد المسيح عليه السلام ويقتل الخنزير.

ومن علامات يوم القيامة أن الكعبة ستكون مهجورة؟ ماذا تنتظر؟؟؟

لماذا لا تتوب ؟ أليست هذه علامة من العلامات الكبرى، الصغرى تحدث متفرقة بين كل علامة وأخرى عدة سنوات وقد حدثت ألم ترونها ؟؟

أم نتطاول في البنيان؟ أم تنتشر الفاحشة؟ ويكثر اللقطاء؟ أم تكثر الخمور حتى في البلاد الإسلامية؟ أم تنتشر المعازف والموسيقى بشكل كبير؟ أم يتقارب الزمان؟ اليوم كالساعة والساعة كالدقيقة والدقيقة كالثانية والثانية كاللحظة؟ أم ينتشر الربا؟ أم يؤكل حق الضعيف؟ أم يكثر بيننا الجوع!!!!!!! والفقر !!!!!!! والألم !!!!!!والقتل!!!!!والتعذيب؟

نعم جميعها تحققت ومن زمن طويل لكن دون أن نشعر، فلا تستغرب من ظهور العلامات الكبرى دون أن تشعر!!!!!

شيء آخر أسمعوا ما بثته وكالة ناسا مع أنهم غير مسلمين إنهم يعرفون شيئاً عن القيامة ؟؟؟!!!!

دخول كوكب اسمه نبرو وجدوا أنه ذو قوة مغناطيسية لو اقترب من الأرض سيسبب لها دماراً شاملاً جماً يعمل على عكس القطبين الشمالي والجنوبي، يعني الشمس ستشرق من المغرب!!!!!

وهذا الكوكب لن يمر بسلام؟ طبعاً نحن لا نصدق لأن علم الغيب عند الله عز وجل ولكن – يجب أن نتأكد ونؤمن أن الساعة ستقوم لا محالة وفي وقت يعلمه الله سبحانه وتعالى.

علاماتها الكبرى متتابعة وظهور واحدة منها ستظهر العلامات الباقية.

شيء آخر، الزلازل والبراكين الخامدة في المدن، إنها قد تثور في أي وقت، وربما تكون هي المقصود بها نار الحجاز التي ستجر الناس لأرض المحشر، وإذا ثار البركان سترجع الجزيرة العربية خضراء كسابق عهدها، وهذا من علامات يوم القيامة الكبرى، والمسيخ الدجال، ويأجوج ومأجوج، وظهور الفحش، والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة، انتشار النساء الكاسيات العاريات، نقص المكيال والميزان، انتشار الفتن، زخرفة المساجد، والجوامع، تحلية المصاحف وزركشتها، المحبة بالألسن والتباعد والتباغض بالقلوب، تقاتل الناس على المال والدنيا لا على الدين والغيرة والحمية، كثرة الطلاق، وموت الفجأة؟ إطالة المنابر والمآذن وعلوها .

وغيرها الكثير من العلامات التي تظهر لنا كل يوم ونحن في غفلة عنها، وكأننا ضامنين الجنة!!!!!

لقد حان الوقت لنرجع لله ونتوب وإذا ما تبنا الآن وأقلعنا عن ذنوبنا لن نصبح إلا

وقد أَقفل باب التوبة بوجهنا .

نحن نذكَّر أنفسنا أولاً ونذكّر الناس فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

لقد ظن كثير من الناس أن الحياة تنتهي بالموت، وسهى هؤلاء أنهم سيقفون يوماُ

بين يدي رب الأرض والسمواتِ ليقال لكل واحد منهم:

"اقرأ كتابَكَ كفَى بنفسِك اليومَ عليكَ حسيباً"[5]

(5) (سورة الإسراء الآية 14).

مقدمة الكتاب

إخواني لا ظلم أشد من الغفلة، ولا عمى أشد من عمى القلب، ولا خذلان أشد من التسويف.

إخواني نحن في زمان أزفت فيها الساعة، وظهرت أشراطها للعيان، زمن يحسد فيه الرفيق رفيقه، والشريك شريكه، وفيه تكشف النساء قناع الحياء، وتكثر الخيانة بينهم، ثم يتفاخرون في الغنى وزيادة في المال، وتصير المساجد ومجالس الذكر محل الخصام، والقلوب خاوية من الإيمان، ويقلّ الصدق، ويكثر الكذب، ويُمقت صاحب الحق. نحن في زمن يُفتخر فيه بِالكبر، والغطرسة، ويَرغب في الشرّ، والمعروف منكراً والمنكر معروفاً، والمؤمن ذليلاً والكافر عزيزاً، والمسلمون فِرقاً ومذاهب شتى، والمساجد طرقاً، ولا هيبة للكبير، ويتمنى الأبن موت والده، وكَثُرَ الفجور، وشهادة الزور، ويهرب المؤمن من شاهق إلى شاهق كالشاة بين الذئاب.

نحن في زمن انتشار الفتن والملاحم، وخيانة الأمانات ومخاصمة النساء في الأسواق بلا حياء، وارتفاع صوتها بلا خجل أو وجل، وانتشار نهب الناس لبعضهم البعض بلا رحمة أو شفقة، وتعلق الأجساد بالمساجد والمجالس والعقول والقلوب متفرقة وجلة من بعضها البعض.

وقد روي عن الشيخ العلامة محمد الأشرفاني رضي الله عنه عندما سُئل لأي شيء قسَت قلوبنا وكَثُرَت ذنوبنا ولا نتوب إلى ربنا؟ فأجاب رضي الله عنه: لأنكم تركتم الآخرة وعملتم الأعمال الخاسرة، وعصيتم الوالد والوالدة، وتركتم العمل وظهر منكم الظلم، وضيعتم الأمانة، وأظهرتم الخيانة، ودخلكم الكبر وظهر فيكم الغدر، ومشيتم بالغيبة، والنميمة، وظلمتم الأيتام وجرتم في الأحكام وعصيتم الرحمن، وأطعتم الشيطان وأكلتم الربا وأطعتم النساء وتعاملتم بالفجور وشهدتم الزور وتواضعتم للأغنياء وتكبرتم على الفقراء فلذلك قست قلوبكم وكثرت ذنوبكم فلا واعظ زاجر ولا خائف ذاكر كلامكم حلو وفعلكم مرّ وألسنتكم فاحشة وقلوبكم غائبة فلا من الله تستمعون ولا إليه تتقربون فعما قليل تموتون ثم تبعثون وتسألون عما كنتم تعلمون"

وقد قيل شعراً:

ما حيلتي ما حيلتي	والسيئات ذخيرتي
وا حيرتي وا حيرتي	في يوم نشر صحيفتي
وقرائي لصغيرتي	وقرائي لكبيرتي
إني مرضت من الذنوب	فمن يداوي علتي
فوا أسفاه على ما جرى	فوا أسفاه يا حسرتي
لكن رجائي قوله	لا تقنطوا من رحمتي

إخواني فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حُثالةِ[6] القَرَطِ[7] وقراضةٍ الَجلَمْ[8] واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بَعْدَكُمُ، وارفضوها ذميمة فإنها قد رفضت مَنْ كان أشغف بها منكم.

كنت برفقة الشيخ الجليل أبو فارس وهبة اللبان كرباج رحمة الله عليه في زيارة لمجلس باب مصلى بدمشق وكان يرافقه ثلة من مشايخ جرمانا الأجلاء فنظر إلى

(6) حُثالة: القشارة أي لا خير فيه.
(7) القَرَط: مادة يُدمغ فيها.
(8) الجلم: مقراط لجز الصوف.

الدور والطرقات، والأرصفة والأبنية العالية، وتنهد وزفر زفرة سمع حسها مَنْ كان محاذياً له، فسألته: إن هذه الزفرة [التنهيدة] الكبيرة ورائها حسرة؟ فأجاب رحمه الله تعالى وسمعه مَنْ كان بجانبه: **يا بعدي هذه الطرقات والدور الكبيرة والمزركشة [المزخرفة] مِثْل [أي شبه] أجنحة النسور وخراطيم الفيلة ونّيال [أي مرحى وسعادة] من استطاع أن يزت [أي يكب] الدنيا على وجهها ويخرج منها قنعان [أي مقتنع]**.

إخواني اعملوا على أعلام[9] "بينة فالطريق[10] نهجٌ[11]" يدعو إلى دار السلام وأنتم في دار مستعتب على جهل وفراغ والصحف منشورة والأقلام جارية، والأبدان صحيحة، والألسن مطلقة، والتوبة مسموعة والأعمال مقبولة ذلك يوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين لنقاش الحساب وجزاء الأعمال خضوعاً قياماً قد ألجمهم العَرَقُ ورجفت بهم الأرض، فأحسنهم حالاً من وجد لقدميه موضعاً، ولنفسه متسعاً.

([9]) أي الطريقة الواضحة
([10]) نهجٌ: أي قويم واضح
([11]) مستعتب: أي طلب الرضا من الله بالأعمال الصالحة

كنت يوماً أزور الشيخ الطاهر أبو حسين محمد الحناوي رحمه الله تعالى في دارته بقرية سهوة البلاطة وسمعت من أحد زواره يحدَّث الشيخ بموضوع مستغرب عن بعض الأمور التي فيها عجائب، فرد الشيخ عليه قائلاً: **يا برك الله يا برك الله** (أي بارك الله بارك الله) **قد اقترب وقت القيامة وظهور الفتن حيث ستظهر أمامنا**".

لقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً[12]، ونسبتهم أهل الجهل فيه إلى حُسن الحيلة، وقد سُئل مولانا بهاء الدين رضي الله عنه عن هذا الزمان فقال: **نحن في زمان القائل فيه بالحق قليل، واللسان عن الصدق كليل، واللازم للحق ذليل، أهله معتكفون على العصيان مصطلحون على الإدهان فتاهم عارم[13]، وشابهم آثم وعالمهم منافق وقارنهم مما ذقّ[14] لا يُعظّم صغيرهم كبيرهم ولا يعولُ غنيهم فقيرهم" وقال: إن الدنيا قد ولت حذّاء[15] فلم يبق منها إلا صُبابة كصبابة الإناء، اصطبها صابّها ألا وأن الآخرة قد أقبلت ولكل منها** بنون فكونوا من أبناء الآخرة

([12]) كيساً: الفطنة والذكاء
([13]) عارم: شرس سيء الُخُلق
([14]) مما ذق: يمزج وده بالغش
([15]) حذّاء: الماضية السريعة

ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة. وإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل×

ومما يروى عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: يأتي على الناس زمانٌ لا يقرّب فيه إلا الماحل ولا يظرَّف فيه إلا الفاجر ولا يضّعف إلا المنصف يُعدُوُّن الصدقة فيه غرماً، وصلة الرحم مِنّا والعبادة استطالة على الناس"[16]

وقال أيضاً: يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلا رسْمُهُ ومن الإسلام إلا اسمه، مساجدهم يومئذٍ عامرة من البُنى خرابٌ من الهُدى سُكانها وعَّمارها شرَّ أهل الأرض منهم تخرج الفتنة وإليهم تأوي الخطيئة يردُّون من شَذَّ عنها فيها ويسُوقون مَنْ تأخر عنها إليها"[17].

ذات يوم بكى السيد سلمان الفارسي رضي الله عنه وذلك عند رحيله فقيل له: ما يبكيك؟ قال: لأننا عُلّمنا أن يكون زاد أحدنا كزاد الراكب وحولي هذه الأزواد وقيل: إنما كان حوله: "إجانة[18] وجفنة[19] ومطَّهرة"

(16) راجع ص 23 ج 4 من كتاب نهج البلاغة.
(17) راجع ص88 من كتاب نهج البلاغة
(18) الإجانة: إناء يجمع فيه الماء
(19) الجفنة: القصعة يوضع فيها الطعام والماء

أخي الغالي ماذا ينتظر مَنْ ابيض شعره بعد سواده.

وتكّرش وجهه بعد انبساطه.

وتقوّس ظهره بعد انتصابه.

وقلَّ بصره وضعف ركبه.

وقلَّ نومه وبلي منه شيء بعد شيء في حياته.

فرَحم الله أمرء عَقِلَ الأمر، وأحسن النظر واغتنم أيامه.

الفصل الأول

المهدي أو قائم الحق عبر العصور

اعتقد المسلمون منذ فجر الاسلام وإلى اليوم بصحة ما بشّر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من ظهور رجل في آخر الزمان يسمى المهدي أو قائم الحق عند الموحدين يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً ؟ ! وجوراً ولم يشّذ عنهم إلا القليل من دعاة التجديد والتحضر نتيجة لتأثرهم بالدراسات غير الموضوعية والاستشراق الغربي ودسائسه.

إن فكرة ظهور المنقذ العظيم الذي سينشر العدل والرخاء بظهوره في آخر الزمان ويقضي على الظلم والاضطهاد في أرجاء العالم، ويحقق العدل والمساواة في أرجاء المعمورة فكرة آمن بها أهل الأديان الثلاثة واعتنقها معظم الشعوب.

فقد أمن اليهود بها كما آمن المسيحيون بعودة المسيح، وصّدق بها الزرادشتيون بانتظار عودة بهرام شاه، واعتنقها مسيحيو الأحباش بترجمتهم عودة ملكهم يتود كالمهدي في آخر الزمان، وكذلك الهنود اعتقدو المتقدون بعودة فيشنو، ومثلهم المجوس إزاء ما يعتقدونه من حياة أو شيدر، وهكذا نجد البوذيين ينتظرون ظهور

بوذا كما ينتظر الإسبان ملكهم روذ ريق، وقد وجدوا هذا المعتقد عند قدامى المصريين كما وجدوا في القديم كتب من الصين[20] تتضمن نفس المعنى.

وإلى جانب هذا نجد التصريح من عباقرة الغرب وفلاسفته بأن العالم في انتظار المصلح العظيم الذي سيأخذ بزمام الأمور ويوحّد الجميع تحت راية واحدة وشعار واحد[21]

أما عند المسلمين فهم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وفرقهم يعتقدون بظهور المهدي في أخر الزمان طبقاً لما بشّر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ولا يختص هذا الاعتقاد بمذهب دون آخر ولا فرقة دون أخرى ولهذا قال ابن خلدون معبراً عن عقيدة المسلمين بظهور المهدي بقوله: اعلم إن المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الأعصار: إنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى المهدي.

([20]) راجع ص43 وص44 من كتاب المهدية في الإسلام لمؤلفه سعد محمد حسن وراجع ص 70 من كتاب الإمامة وقائم القيامة للدكتور مصطفى غالب.
([21]) راجع ص124وص125 من كتاب برنارد شو لمؤلفه عباس محمود العقاد.

ولا بد من القول إنه في الأيام الفضيلة التي تسبق عيد الأضحى المبارك يسود جو من حساب النفس، ومراجعة الضمير عند عدد كبير من الناس ويثوب بعضهم إلى رشدهم ويتوب البعض الآخر ويفكر الكثيرون في ما هي غاية الحياة؟ وماذا يأخذ الإنسان معه؟ وما هو الأثر الذي يبقيه؟ وكيف يجب أن يترك الإنسان ذكراً طيباً بعد وفاته؟ وماذا يجب أن يعمل كي يحالفه الحظ، ويفوز بمكان جيد بعد يوم القيامة.

وموضوع القيامة ونهاية العالم وقائم الحق هو موضوع عالجته كل الأديان وتطرقت ومهدت له، وحثت كل الأديان مؤمنيها أن يعملوا لآخرتهم وأن يقوموا بواجباتهم في هذه الحياة حسب الأصول والمبادئ المتبعة ربما يفوزون بالعالم الآخر.

ومذهب التوحيد يدعو هو الآخر إلى تكريس الحياة الدنيا من أجل الحياة العليا، بكل طاقات الإنسان كي يرضي الله سبحانه وتعالى ويرضي ورسله ويهذّب أخلاقه وسلوكه كي يضمن له مكاناً فيما بعد"[22]

([22]) راجع مجلة العمامة الشهر الأول عام 2014.

اليوم الآخر في مذهب التوحيد الشريف ليس يوم القيامة! إذ ليس فيه موت للأرواح، ولا قيامة لها ولا بعث، فالأرواح لا تموت لتبعث، ولا تنام لتوقظ بل أن يوم الحساب نهاية مراحل الأرواح وارتقائها إذ يبلغ التوحيد غايته من الرقي والانتصار على كافة العقائد التي تشرك بالله سبحانه وتعالى وتكفر به، وفي هذا اليوم الموعود يظهر المعبود، ويتجلى للموحدين المؤمنين الصادقين للعيان.

وعلامات قرب هذا اليوم عند الموحدين هي: عندما يتسلط أهل الكتاب على المسلمين، ويرضخ الناس إلى الآثام والفساد والآراء المنحرفة، وسيطرة اليهود على بيت المقدس، وخاصة إنّنا قد أصبحنا في دهر عنود (جائر) وزمن كنود (كافر) يُعَدُّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عُتُواً ولا ننتفع بما عَلِمنا، ولا نسألُ عما جهلنا، ولا نتخوف قارعة حتى تحلَّ بنا الخطب، وما نحن اليوم إلا كإبل ضّل رعاتها، فكلما جُمعت من جانب انتشرت من آخر.

وأعلم أخي القارئ أن الدنيا أدبرت، وأذَنَتْ بوداعٍ وإن الآخرة قد أحتلت وأشرقت بالظلام ألا وإن اليوم المضمار وغداً السّباق.

وقد ذكر العلامة الشيخ أبو زين الدين حسن العقيلي قائم الزمان، أو المهدي المنتظر في قصيدة طويلة نذكر منها قوله:

أيا سيدي قد جئتُ نحوك طالباً	لعفوك بالكآبة والشَجَا
ومن حملي الأوزار قد كَلَّ كاهلي	وظهري منها كادَ أن يتعوجا
فيا مالكي كن شافعي وامحُ حوبتي؟	واجعل لي التوحيد والحق مدرجاً
وهبني الرضا والصّفح منك وأعطني	هُدى وقِني من نار سخط تأججا
وأحسن ختامي وأسكنني بجنةٍ	بدارٍ نعيم مَنْ يقرأها نجا
عليك صلاةُ الله ما لاحَ بارقٌ	وما بزغت شمسٌ وما حندسٌ سَحَبَا
وإخوتك الأشرافُ ما وابلٌ هَما	وما صافحت أيدي النسيم بنفسجا[23]

(23) راجع الصفحة 124 و125 من كتاب خبايا الجواهر.

الفصل الثاني

ما الفائدة من استتاره وغيبته

فإذا كان الإمام المنتظر أو قائم الزمان أو قائم الحق عند الموحدين سيظهر في آخر الزمان عندما يحين الوقت المقدَّر من الباري عز وجل، وعندما تحين مشيئته فما هي الفائدة بالنسبة للأمة وهو غائب مستور؟

الجواب: إن الذي يحقق ويدقق في هذه المسألة يجب أن يضع في حسابه أولاً الروايات والأخبار الصحيحة التي تتحدث عن ظهوره الذي سيكون بصورة مفاجئة وسريعة أو كما ورد على لسان بعض مشايخنا الأطهار بغتة أي دون تحديد زمن مخصوص أو وقت معين وهذا يرتب عليه ترقب كل جيل من الأجيال لظهوره المبارك ويعمل عملاً صالحاً ونافعاً.

أولاً- أن ذلك يدعو كل موحد مؤمن إلى أن يكون على حالة من الاستقامة والثبات على عقيدة التوحيد، والتقيد بالأوامر والنواهي والابتعاد عن الظلم للآخرين وعدم غصب حقوقهم، وذلك لأن ظهور قائم الحق يعني قيام عدله وبسط قسطه بالمجتمع.

ثانياً- إن ذلك يدعو كل مؤمن موحد إلى أن يكون في حالة طوارئ مستمرة واستعداد تام من حيث التهيؤ للانضمام إلى قائم الزمان والاستعداد العالي للتضحية في سبيل بسط عدله على الأرض وهذا الشعور يخلق عند الموحدين حالة من التآزر والتعاون ورصّ الصفوف.

ثالثاً- إن هذه الغيبة تحفز المؤمن بها للنهوض بمسؤوليته وخاصة في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيكون الموحدون متحصنون متحفزون إذ لا يمكن تقيد الموحدين بالانتظار فحسب دون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر استعداداً لاستقباله.

رابعاً- إن الأمة التي تعيش الاعتقاد بالمهدي الحي الموجود تبقى تعيش حالة الشعور بالعزة والكرامة فلا تطأطئ رأسها لأعداء الله وأعداء الوطن، ولا تذل لجبروتهم وطغيانهم، إذ هي تترقب وتتطلع لظهوره المظفر في كل ساعة ولذلك فهي

تأنف الذل والهوان وتستصغر قوى الظلم وتستحقر كل ما يملكونه من عدة وعدد[24].

واليوم الآخر هو يوم القيامة، ويجب الإيمان به أوعده الله سبحانه وتعالى ليجمع بين الناس للحساب وقد سأل السيد جبريل عليه السلام الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حتى تقوم الساعة؟ فأجاب: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، معناه نحن مشتركان في هذا الأمر هو عدم المعرفة بميقات الساعة فقال: أخبرني عن أماراتها (أي علاماتها) قال: أن تِلدَ الأمة ربتها (سيدتها) وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاة الشاء يتطاولون في البنيان.

ومما يروى عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قوله: إذا رأيت شُحاً مطاعاً وهوى متبعاً، وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ودع أمر العوام× وقال: يكون بين يدي الساعة أيام يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل ويكثر فيها الهرج× والهرج: القتل[25]

([24]) راجع أشراط الساعة من مكيات رسائل النور الشعاع الخامس لمؤلفه بديع الزمان سعيد النورسي ترجمة إحسان قاسم الصاغي ط1 مطبعة الحوادث بغداد1412هـ

([25]) راجع البخاري ومسلم

وهذا دال على أن العلم قد يرفع من الناس في آخر الزمان حتى أن القرآن الكريم يسري عليه النسيان في المصاحف والصدور ويبقى الناس بلا علم حتى أن الشيخ الكبير والعجوز المسنة يخبران بأنهم أدركوا الناس وهم يقولون: لا إله إلا الله فهم يقولونها على وجه التقرب إلى الله سبحانه وتعالى فهي نافعة لهم، وإن لم يكن عندهم من العمل الصالح، والعلم النافع غيرها ، ولا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد .

ومما يروى عن مولانا بهاء الدين والدنيا رضي الله عنه عندما أشرف على التل الذي استشهد فيه الداعي عمار رضي الله عنه قوله وهو يرمق إخوانه بعينه الطاهرة: **هل ترون ما أرى؟ قالوا: لا؟ قال: إني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر ويتقارب الزمان ويكثر الهرج×**

نعم أحبتي في الله صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء[26] .

([26]) صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود.

الفصل الثالث

الموت طريقنا إلى الآخرة

لما كان الموت هو الطريق إلى الآخرة فإني أبدأ بذكره. . .

فاعلم يا أخي: إن الموت أكبر واعظ للناس ولكن القلوب القاسية لا تتعظ وإلا كفى بالموت واعظاً، إن الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين قال الله تعالى في محكم تنزيله: **"كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموت وإنما توفون أجوركم يوّم القيامة فمن زُحْزِحَ عَنِ النار وأُدخِل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا مَتَاعُ الغرُورُ"**[27] وقال تعالىَ في محكم تنزيله: **"أينما تكونُوا يُدرِككم الموتُ ولو كنتم في بروجٍ مشيدةٍ"**[28]

وإن الموت لأمر لا يتطرق إليه شك بل هو أمر مسلَّم به حيث إنه من الأمور المحسوسة المشهورة ومع هذا فإن أكثر الناس عنه غافلون فعلى كل عبدٍ طائعٍ الله موحدٍ له أن يكثر من ذكره وأن يستعد له، وإن ذكر الموت ليهون على الإنسان هموم

([27]) (آل عمران 185)

([28]) (النساء78).

الدنيا ويزهد فيها وقد روي عن أحد كبار مشايخ الموحدين سيدنا الشيخ أبو القاسم نصر بن فتوح رضي الله عنه قوله عندما كان يعظ: **"أكثروا من ذكر الموت فإنه يمحصّ الذنوب ويزهّد في الدنيا"**

أرأيت يا أخي لو إن إنساناً أراد أن يسافر سفراً طويلاً ألا يتأهب له؟ ويحمل معه الزاد الكافي مخافة أن يجوع في الطريق؟ وإن سفرنا إلى الآخرة لطويل نحتاج فيه إلى الزاد وزادنا في هذا السفر هو تقوى الله سبحانه و تعالى فمن تزود بها نجا وقطع الطريق بسلام ومن لم يتزود بها فقد خاب وخسر.

ورحم الله مَنْ قال:

يـامَنْ بـدنيـاه اشتغـل قـد غـرّه طـول الأمـل

المـوت يـأتـي بغتـة والقبـر صنـدوق العمـل

فأعلم يا أخي نبهني الله وإياك من رقدة الغافلين أن لكل إنسان أجله الذي قدره الله تعالى له في سابق علمه الأزلي فلا يتقدمه لحظة ولا يتأخره. قال تعالى في محكم تنزيله: "فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون"(الأعراف34)، وإن أجل

كل إنسان مبهم فلا يعلم حتى يأتيه الموت ولربما جائه الموت على حين غفلة من غير نذير وهو يؤمل في الحياة آمالاً بعيدة فلا تغتر بشبابك وتظن أنه لا يموت إلا الطاعن في السن أو المريض مرضاً عضالاً فكم مات من شباب وكم مات من كهول وكم مات من شيوخ كانوا أطول منك آمالاً في الحياة وأشد حرصاً منك على الدنيا فكم من بانٍ لم يسكن وكم من زارع لم يأكل وكم من خاطب لم يتزوج وكم من مؤلف لم يتم.

فتنبه يا أخي من غفلتك واستيقظ من نومك واعلم إنه لا بد من اليوم الذي تلقاك فيه على فراش المنية وأنت تجود بالروح والأهل والأحباب من حولك يخاطبونك فلا تجيب بل أنت مشغول عنهم بما أنت فيه من شدة الموت وسكراته وتدور عيناك تنظر إليهم نظرة المستغيث وهم يخاطبونك: يا فلان هذا ولدك من حولك هذا أخوك فلان هذا صديقك فلان وكأن في أذنيك وقراً فلا تملك إلا أن تنظر إليهم نظرة المودع الآسف على ما فاته، وما فرط من جنب الله فلا ولد يستطيع رد روحك ولا أخ ولا أم ولا أب ولا زوج ينفعك، ولا مالٌ شقيت بجمعه وأرهقت

نفسك في سبيل الحصول عليه، قال تعالى في محكم تنزيله: "**كلا إذا بلغت التراقي وقيل مَنْ راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق**"[29]

والمعنى أنه إذا بلغت الروح التراقي وهما عظمتان عند نقرة الحلقوم مما يلي الكتفين فإن الإنسان عندها يتيقن فراق الدنيا وفي هذا الحال تكون الروح قد سلبت منها، وأما الذين حوله فإنهم يقولون مَنْ يرقيه حيث كانوا يعتمدون على الرقية في التداوي.

ورحم الله مَنْ قال:

وإذا المنية أنشبت أظفارها

ألفيت كل تميمة لا تنفع

وإذا به قد ترك الأهل والأولاد والمال الذي شقي بجمعه ومما يروى أنه لما حضرت أبا بكر الصديق الوفاة كانت عائشة قائمة عند رأسه فنظرت إليه وإذا بروحه تحشرج[30] في صدره فقالت:

([29]) (القيامة31).
([30]) تحشرج: أي تتردد في صدره ولها صوت يعني تقرقع في صدره

لعمـرك مـا يغني الثـراء عـن الفتى

إذا حشـرجت يـوماً وضـاق لها الصدرُ

فنظر إليها وقال: يا بنيتي لا تقولي شعراً ولكن قولي:

"وجاءت سكرة الموت بالحق وذلك ما كنت منه تحيد"

وروى لي[31] الشيخ الطّاهر أبو حسين محمد الحناوي: أن أحد الصّالحين الموحدين كان يمشي في الطريق وإذا سلّم عليه رجل لا يعرفه فقال له: أتعرفني؟ قال: لا؟ قال: أنا ملكُ الموت، فقال له: مرحباً بمن طالت غيبته؟ فقال له ملك الموت: امض إلى حاجتك حتى تقضيها؟ فقال له: "بأمي أنت وأبي ليست لي حاجة إلا أن التقي الله".

فإن العمر مهما طال فإنه يمر وكأنه لحظة وقيل شعراً:

مـا مضى فـات والمؤمـل غيب   ولك السـاعة التي أنت فيهـا

([31]) أي مؤلف هذا الكتاب

ألا ترى يا أخي إلى الإنسان إذا مات وسلب الله تلك الروح من ذلك الجسد كيف يستوحش منه أهله وأحبابه ويريدون الإسراع في تجهيزه ودفنه ثم بعد ذلك كأنه لم يكن في الحياة فعش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى عليه، ومما يروى أن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل مقابر المدينة ونادى:

يا أهل القبور: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تخبرونا بأخباركم أم نخبركم؟ فسمع صوتاً يقول: عليك السلام ورحمة الله وبركاته أخبرنا بما كان بعدنا ؟ قال: أما أزواجكم فقد تزوجت وأما أموالكم فقد قُسِّمت وأما الأولاد فقد حشروا في زمرة اليتامى وأما البناء الذي شيدتم فقد سكنه أعداؤكم فهذا أخبار ما عندنا، فما أخبار ما عندكم؟ فأجابه صوت من أحد القبور قائلاً: قد تمزقت الأكفان وانتثرت الشعور وتقطعت الجلود وسالت الأحداق على الخدود وسالت المناخير بالقيح والصديد، ما قدمناه وجدناه وما خلفناه خسرناه ونحن مرتهنون بالأعمال.

الفصل الرابع

أمارات الساعة

أعلم يا أخي وفقني الله وإياك إن هذه الحياة الدنيا ستنتهي وتنقرضَّ ثم يأتي اليوم الآخر الذي يجازى فيه العباد بأعمالهم ويصيرون فيه إما إلى جنة فيها نعيم مقيم أو نار حامية تصلون فيها .

فتعالى معي أيها القارئ الحبيب لنتابع النظر والتعرف على ذلك اليوم وأهواله ومراحل أحوالنا فيه، وعرضنا على الله سبحانه وتعالى لعل ذلك يكون رادعاً لنا عن المعاصي وحافزاً لنا على أعمال الطاعة والبر، كيف لا وقد ظهرت أمارات الساعة في هذا الزمان فلا تخفى على بصير عرف علاماتها .

ومما يروى عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قوله: لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان واعلم أن للساعة علامات صغرى و علامات كبرى، فالعلامات الصغرى هي التي تكون قرب الساعة، وأما العلامات الكبرى فتكون بين يديها قريباً ومن أماراتها: التطاول في البنيان وزخرفة المساجد وإضاعة الأمانة

وكثرة الزنا وشرب الخمور واتخاذ القينات أي المغنيات، وعد، الخائن أميناً والأمين خائناً وتولية الأمور لغير أهلها وكثرة البدع وقلة الحياء من النساء ورفع العدل من الرجال وروي عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قال: إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلَّ بها البلاء؟ قيل وما هي؟ قال: إذا كان المغنم دولاً والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته وعقَّ أمه وبرّ صديقه وجفى أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشرِبَت الخمور×.

ولا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة، ولا تقوم الساعة حتى يقبض العلمّ وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتكثر الفتن ويكثر الهرج، ولا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله ولا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ليتني مكانك، ولا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين لا تنفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، ولا تقوم الساعة حتى يكون

أحظى الناس بالدنيا لكع بن لكع (أي اللئيم بن اللئيم) .ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً وقذفاً[32]

وروي أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: يا أخي هل تنزل إلى الأرض بعدي؟ قال: نعم آخر الزمان أنزل أربع مرات قال: وما تصنع فيهن؟ قال: أنزل في المرة الأولى أرفع العدل من الحكام، ثم أنزل في المرة الثانية أرفع البركة من الأرض، ثم أنزل المرة الثالثة أرفع الشفقة من قلوب الرجال، ثم أنزل في المرة الرابعة أرفع الحياء من النساء .

وقد ورد في الحديث الذي رواه ابن ماجة عن أنس ابن مالك؟ قال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله لا يحدثكم به أحدٌ بعدي، سمعت منه قوله: " إنَّ من إشراط الساعة أن يُرفع العلم وَيظهر الجهل ويفشوا الزنا وتُشرب الخمر ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيمٌ واحدٌ .

([32]) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن رقم 2210.

الفصل الخامس

علامات يوم القيامة الكبرى

أما العلامات الكبرى:

فأولها: خروج المهدي وهو من أبناء السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء رضي الله عنها يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً

ثانياً: خروج الدَّجال وإنه الأكثر فتنة للناس حيث يقدره الله سبحانه وتعالى على أمور خارقة كالعادة بل تدهش العقول يغتر بها كثير من الناس إلا من سبقت له السعادة، والدَّجال يأمر السماء فتمطر، ويأمرها فتُمسك، ويأمر الكلأ فينبت، ويحيي الميت، وتتبعه كنوز الأرض، كل ذلك فتنة للناس واعتبار لهم في ثباتهم على دينهم وتوحيدهم فيثبت الموحدون أمام هذه الأمور ويزيغ اللذين في قلوبهم مرض ويتبعون الدجال ويكونون جنداً له.

ثالثاً: خروج دابة الأرض قيل: هي فصيل ناقة صالح عليه السلام لما عقرت أمها هربت وأنفتح لها الحجر الذي خرجت منه ودخلت فيه وهذه الدابة لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب يراها كل أهل جهة في جهتهم وتكتب بين عيني المؤمن

مؤمناً فيضيء وجهه، وبين عيني الكافر كافراً فيسود وجهه، وقد ذكر ذلك الباري عز وجل في محكم تنزيله بقوله: **(وإذا وَقَعَ القَوْلُ عَليهم أخرجنَا لَهُم دابةً مِنَ الأَرْضِ تُكلمُهُم أنَّ الناسَ كانُوا بآياتِنا لا يُوقِنُونَ)**[33]

رابعاً: طلوع الشمس من مغربها فيفزع الناس لذلك فيؤمنوا جميعاً وعندها لا ينفع نفساً إيمانها إن لم تكن آمنت من قبل.

خامساً: خروج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الأبل ببصرى حيث مما روي عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قوله: لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الأبل ببصرى" رواه البخاري عن أبي هريرة.

فاعلم يا أخي الحبيب أن شهودك معك، وأن أعضائك معك، وجسمك كالآت التسجيل تسجل عليك كل ما تفعله أو تقوله فحاسب نفسك قبل أن تُحاسب وراقب ربك بكل ما تعمل، واعلم بأنك مسؤول عن كل شيء..

([33]) (النمل82).

الفصل السادس

الميزان ووزن أعمال العباد

أعلم يا أخي أن الذين توزن أعمالهم هم المؤمنون الذين خلطوا أعمالاً صالحة وأعمالاً سيئة، وأما الكافرون فإنه يعجّل لهم ثواب حسناتهم في الدنيا، وأما في الآخرة فلا شيء لهم.

والميزان هو ميزان حساس أدق من كل الموازين فما ظنك بميزان ترجحه الذرة كما قال أصدق القائلين في محكم تنزيله: **"فَمَنْ يَعْمَل مثقالَ ذرة حيزاً يَرَهُ ومَنْ يعمل مثقالَ ذرةٍ شراً يَرَهُ"** (34)

وكيف لا يكون دقيقاً، وواضعه وناصبه أحكم الحاكمين **"يَوُم يَفَرُ المَرْءُ مِنْ أخيهِ وأُمِهِ وأبِيهِ وصاحبتِهِ وبنيهِ لكلّ أمرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيهِ"** (35)

هؤلاء أقَرب الناس إليك ولَدك الذي تشقى في سَبيل سعادته وتتعب في سبيل راحته وتُأثره على نفسك في الدنيا ولا ينفعك شيئاً ولا يعطيك حسنة واحدة، أمك التي هي أشفق إنسان عليك في الحياة لا تنفعك شيئاً ولا تعطيك حسنة

---

(34) (الزلزلة7-8).
(35) (عبس24).

واحدة، أبوك الذي كان في الدنيا يغمرك بحنانه وعطفه لا ينفعك شيئًا، إذاً فلا تؤثر حبهم على حب الله

"يا أيُّها النَّاسُ اتقوُا ربكم واخشَوا يوماً لا يَجزي والدٌ عَنْ ولدِهِ ولا مَوْلودٌ هَوُ جازٍ عَنْ والدِهِ شيئاً وإنَّ وَعْدَ الله حقٌ فلا تغرنَّكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرُورُ"[36]

وقال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: "ونضع الموازين القسط يوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين"

وقال: "فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون"

وقال سيدنا سلمان الخير رضي الله عنه: "يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله: من شئت خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ويوضع الصراط مثل حد الموسى، فتقول الملائكة: مَنْ يجيز على هذا؟ فتقول: مَنْ شئت من

([36]) (لقمان33).

خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"[37]

ومما يروى عن مولانا بهاء الدين رضي الله عنه قوله: **(إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)**

([37]) راجع الحاكم الجزء4 ص586 وصححه الألباني في الترغيب والترهيب.

الفصل السابع

أين يُجمع الناس يوم القيامة

لقد ّبين لنا الرسول صفة الأَرض التي يُجمع عليها النّاس ففي صحيح البخاري ومسلم عن سهل بن سعد قال: سمعتُ رسول الله يقول: يُحشر النّاس يوم القيامة على أَرض بيضاء عفراء كقُرصة النَّقّي ليس فيها عَلَمٌ لأَحد أي على أرض مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض، ولا جبال، ولا صخور، وليست فيها علامة سكنى أو بناءٌ،. ويجمعون حفاة لا نعال عليهم، وفي ذلك اليوم تدنوا الشمس من الخلائق حتى تكون منهم كمقدار ميل فلا ظل في ذلك اليوم إلا ظل عرش المولى سبحانه وتعالى، فمن مستظل بظل العرش، ومن مُضحِ بحرّ الشمس قد صهرته واشتد فيها كُربه، وأقلقته وقد ازدحمت الأُمم وتضايقت ودفع بعضهم بعضاً، واختلفت الأَقدام، وانقطعت الأَعناق من العطش قد اجتمع عليهم في موقفهم حرّ الشمس مع وهج أنفاسهم، وتزاحم أَجسامهم ففاض العَرَقُ منهم على وجه الأَرض ثم على أَقدامهم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة والشقاء فمنهم من يبلغ العرق منكبيه وحقويه، ومنهم إلى شحمة أذنيه، ومنهم مَنْ قد أَلجمه العرق إلجاماً،

نسأل الله العفو والعافية والسلامة.

وقال المقداد رضي الله عنه: تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كقدر ميل فيكون الناس على مدار أعمالهم في العَرَقِ فمنهم مَنْ يكون إلى كعبيه، ومنهم مَنْ يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العَرَقُ إلجاماً"، ويكون وقوفهم في يوم مقداره خمسون ألف سنة قال تعالى: "تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة" .

ويكون يوم القيامة على المؤمنين الموحدين كقدر ما بين الظهر والعصر[38] ويظِلّ الله سبحانه الموحدين المخلصين الثابتين على عقيدتهم في ظله الظليل يوم لا ظل إلا ظله، ويقول سبحانه في ذلك الموقف العظيم: أين المتحابون بجلالي **"اليوم أظلُّهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلا ظلي"**[39] ويجيء الباري سبحانه وتعالى ويتجلى لعباده كما ذكر الله في محكم تنزيله: "وجاء ربك والملك صفاً صفاً" ويقول: **"وَجِيءَ يَومئذٍ بجهنَّم يومئذٍ يتذكَّرُ الإنسانُ وأنَّى لَهُ الذِكرَى" يقولُ: يا ليَتني قدّ متُ لحيَاتي"** [40]

([38]) سورة المعارج الآية رقم 4

([39]) المستدرك جـ 1 ص84.

([40]) (سورة الفجر22-24).

فتفكر أخي الإنسان في هذا اليوم العظيم الذي وصف لك و في هذا الحال الذي تحدثت عنه وأعد له عدته، وعليك بتقوى الله فإنها خير زاد . وقد قال الله تعالى في محكم تنزيله في ختام آيات الحج: "واتقوا الله وأعلموا إنكم إليه تُحشرون[41] جعلنا الله وإياكم من عباده المتقين و أعادنا جميعاً من خزي يوم الدين وجعلنا بمنه وكرمه يوم الفزع من الآمنين.

([41]) صحيح مسلم 2566.

الفصل الثامن

الجنـة ونـعيـمها

الجنة هي دار النعيم التي أعدها الله لعباده الموحدين المؤمنين الصَّادقين الأبرار المتقين جزاء إيمانهم الصادق وعملهم الصالح في الدنيا ، وجزاء مجاهدتهم لأنفسهم في ترك المعاصي والمحرمات، قال تعالى في محكم تنزيله: "وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون" الزخرف. وقال تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً" مريم.

وقال: **"إن الأبرار لفي نعيم"**[42]

وأعلم يا أخي الحبيب أن الجنة هي فوق ما تقرأ أو تسمع وفوق ما يخطر ببالك حيث أن تصورنا وإدراكنا لا يحيط بالجنة ومعرفتها لأننا نتصور وندرك بقدر ما أوتينا في الدنيا من متع وزخرفة، وشعورنا قاصر عن إدراك حقيقتها ، وقد ورد في الحديث القدسي قوله سبحانه وتعالى: "أعددتُ لعبادي الصّالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر في قلب بشر" .

ومما يروى عن مولانا بهاء الدين رضي الله عنه أنه أكل ذات يومٍ مع إخوانه بجانب

([42]) المطففين(32).

بستان في الغوطة يمرُّ محاذياً له نهر، فأكلوا من ثمره وشربوا من ماء النهر، فجأة ألتفت برأسه الشريف إليهم وأشار بيده السخية الكريمة إلى النهر وإلى الطعام وقال لهم بلسان ملؤه الإيمان والاستقامة وسمت شريف: **هذا من العميم الذي تسألون عنه.**

قال الله تعالى في محكم تنزيله: **" ثم لتسألُنَّ يومئذٍ عن النعيم "**[43]

([43]) (سورة التكاثرالآية8).

الفصل التاسع

شَرٌّ قد اقترب

لقد فزع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى خرج محمراً وجهه محذراً من يأجوج ومأجوج، تروي لنا زينب بنت جحش فتقول: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فزعاً محمراً وجهه وهو يقول لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شَرِّ قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وحلّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها) فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصَّالحون؟ قال: نعم إذا كَثُر الخبث[44] وقد فسَّر الجمهور الخبث بأنه الفسوق والفجور.

- يأجوج ومأجوج:

قال الله تعال في محكم تنزيله: "حَتَّى إذا فُتِحَتْ يأجُوج وَمَأْجُوجِ وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسلَون واقتربَ الوعُد الحقَّ فإذا هي شاخَصُة أبصارُ الذينَ كفرُوا يا ويلَنَا قد كنا في غفلةِ مِنْ هَذا بل كنا ظالمين"[45]قيل: إنهم من الترك وهما أسمان أعجميان عند الأكثر مُنعا من الصرف للعلمية والعجمية.

([44]) رواه مسلم ص 8-22 والبخاري في صحيحه كتاب الأبناء قصته يأجوج ومأجوج.

([45]) (سورة الأنبياء96)

وقيلَ: بل عربيان واختلف في اشتقاقهما فقيل: من أجيج النار وهو ألتهابها، وقيل: من الأجّة بالتشديد وهي الاختلاط أو شدة الحرّ، وقيل: من الأج وهو سرعة العُدْو وقيل: من الإجاج وهو الماء الشديد الملوحة.

وروي عن الشيخ نصر بن فتوح رضي الله عنه إنه قال: طَلَعَ مولانا بهاء الدين رضي الله عنه ونحن نتذاكر مع عددٍ من الإخوان فسألنا ماذا تتذاكرون قلنا نتذاكر يوم القيامة؟

قال: أيها الإخوان إن الساعة لن تقوم حتّى تروا عشر آيات هي: الدخان، والدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول المسيح، ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسفٌ بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من قبل المشرق تسوق الناس إلى محشرهم.

الفصل العاشر

استشراق الشيخ الجليل

أبو حسين ابراهيم الهجري رضي الله عنه

علامات يوم القيامة

روى عن سيدنا الشيخ أبو حسين ابراهيم الهجري رضي الله عنه في جفرتيه وهي في غاية الإتقان والاعتبار والدقة والجمال قوله: من البراهين عن القيامة وحلولها وأنه لا بد منها والوعد بها حق وصدق وما فيها ريبٌ ولا شبهة وشواهد ذلك كثيرة ولا حصر لها فمن جملة الأدلة قوله تعالى: إن الساعة آتية بغتة لا ريب فيها، وقيل عشرة تدل على هجوم يوم الميقات: إذا فسدت من الناس الديانات، وارتفعت من بينهم الأمانات، وقلّت منهم الصدقات وقصّروا في مواجب العبادات وتهاونوا في القيام بالمفترضات، وزهدوا في مناسك الديانات وصار زعيم القوم أرذلهم وسيد القبيلة أفسقهم، وكَسَدَ العلم بينهم وعَزَّت الدنيا عندهم، وصارت الأخيار تكّرم الأشرار مخافة من شرهم، هناك تخرج الآيات وتظهر العلامات.

ومن علاماتها أيضاً تغيير المزايا والجهل، وانخفاض جانب النورانية، وخروج العوائد

(العادات)الردية، وعدم التدقيق والمبالغة في الحديث، وقلة الصدق والصدقات، وخروج أهل البيوت عن أصولها، وتخلف النسل الصالح عن مسلك أهله، وخروج الآلات الاصطناعية الإفرنجية التي هي كالصواعق النيرانية، تفعل من بلاد، إلى بلاد وينظر الناظر من بعض الاصطناعات (الصناعية) من كورة إلى كورة، وعدم الانقياد إلى الطّاعة، وتلبيس الفضة على النحاس، يعني يتظاهر مدعي الإيمان والدين بالطاعة وهو متمسك بالعصيان، وخروج الإفرنج إلى الشام، والسير معهم في الفوادح والمخالفات، وعدم العمل بالمفترضات والزّهد في مناسك العبادات وعزة الدنيا عندهم.

فانظروا أيها الإخوان العارفون المستبشرون أن القيامة لها شواهد كثيرة كما تقدم القول، أولاً فإذا رأيتم النصارى قد تعالت على الاسلام في الرتب، وأخذوا جانب مُلكهم، ها هنا يعرف الفطين ضعف الإسلام، كما قال: في الملاحم، ثم يظهر من ناحية الغرب نجمٌ أحمر له ذيل طويل يدل على خراب بيت المقدس وخراب السبع أقاليم المعمورة، كما قال المرحوم الشيخ سليمان الدّواس أبو عبيد رضي الله عنه: والنجم الأحمر إن ظهر في غربها عَمَّ الخراب بسائر البلدان.

ومن أول الإشارات والعلامات القراريط الدرهمية (أي القنبلة الذرية والسلاح الكيميائي) التي تفعل بالخراب ما لا تفعله قناطير النيران المدمرة، والآلات التي تورد العلم، والكلام وذلك بتدبير الملك العّلام، كما قال من غرائب الصنع ولطيف التدبير، والآلات التي تشبه الطيور تأسياً في عمل صاحب بساط الريح (أي الطيران بأنواعها المدني والحربي والحوامات) وهي تجري على متن الرياح بآلات جديدة، وتخترع آلات شتّى غريبة لها أفعال عجيبة لا يصدق الإنسان بها لولا رؤياها (رؤيتها)، وآلات تدرج أي (تسير) على الأرض بلا جرارة حيوانية (أي السيارات والباصات وسائر المركبات) ويكثر الفجور والشعبذة أي (الشعوذة) وأمثال ذلك كثير لا يحصى ثم يتعاطل بعض الناس الالتباس، والمخالطة مع الحكام، وأكل قرش الحرام حتى لا ينكر وذلك قبل ظهور النجم الأحمر، وتنتهي عزائم الشرائع بالاصطناعيات (الصناعات) المزعجة في البلاد الإفرنجية التي لا توصف بلسان ولا يصدق خبرها إلا العيان، وتظهر الخوارج، والحركات بين الملوك في السبع أقاليم المعمورة.

وكما قال في الملاحم:

وَتَخْـرَب رَمْلَـة وديـار مصــر

مــن السـودان والحبش الـرَذَالي

وتلك أولى الدلالات وقال الدواس رحمه الله:

في العين بعد العُين حتماً ظهوره

يامن يعـود إلى رضـا مـولانا

أي ظهور قائم الزمان صلى الله عليه.

وقال غيره: يكون ظهوره في درجة السبعين، ويكون مشاجرة بين الملوك على الممالك ويقع الخُلف (الخلاف) والحقد بينهم، ويعم الخلاف بين كل الملوك، والسلاطين من مشرقها إلى مغربها، فتشتهر عداوة الدين بين المسلمين، والنصارى.

ويذكر سيدنا الشيخ أبو حسين ابراهيم الهجري رضي الله عنه المعارك والملاحم التي تقع بين الفريقين بدقة متناهية والدمار الهائل والقتل والتنكيل والذبح وإراقة

الدماء. إلى أن يقول رضي الله عنه: **أما جبل الريان هو جبل حوران بحوله تعالى ورسوله تبقى قراياه أي (قراه) عامرة بأهلها إلى يوم القيامة.**

الفصل الحادي عشر

السيد سلمان الفارسي رضي الله عنه

وعلامات يوم القيامة

اعلم وفقك الله وإيانا لما يحبه ويرضاه أن من أصحاب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم شموس هداية، وأقمار عناية، وأنوار مشرقة يفوز المهتدي بهم، ويهلك مبغضهم، وعدوهم فكانوا زاهدين عابدين بررة قانيتين أصفياء أنقياء أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء، تعلموا علم الدين فكانوا جهابذة نحارير، وعملوا بما تعلموا فكانوا مخلصين، وعلموا عظمة الجهاد في سبيل الله فعاشوا غزاة مجاهدين مرابطين، عشقوا الشهادة، وسألوا الله أن يعطوها بصدق فنالوها، من هؤلاء صحابة أجلاء كانوا نوراً شعشعانياً يستضيء به صاحب الشريعة وهداة مهديين يهدون الضالين، مدحهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بأن الجنة أشوق إليهم من شوقهم إلى الجنة منهم سادةٌ وقاده ورؤساء وأئمة وأقطاب، منهم السيد سلمان الخير،

والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر، وأبو ذري الغضاري، وابن مظعون النجاشى، رضي الله عنهم وأرضاهم.

ومما روي عن السيد سلمان الخير رضي الله عنه أنه قاله:

حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثم أقبل علينا بوجهه، وقال: ألا أخبركم بأشراط الساعة؟ (وكان أدنى وأقرب الناس يومئذٍ منه السيد سلمان رضي الله عنه) فقال له: بلى يا رسول الله؟ قال: إن من أشراط القيامة إضاعة الصلاة، وإتباع الشهوات، والميل مع الأهواء وتعظيم أصحاب المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء، مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره، قال السيد سلمان؟ وإن هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: أي والذي نفسي بيده!!!!

يا سلمان عندما يليهم أمراء جورة ووزراء فَسقَه

وعرفاء ظَلَمة وأمناء خَوَنَهَ.

فقال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله!!!!

قال: أي والذي نفسي بيده؟!

يا سلمان: فعندها إمارة النساء، ومشاورة الإيماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب طَرَفَاً والزمان مَغْرَماً والفيء مغنماً

ويجفو الرجل والديه ويبر صديقه ويَطْلُع الكوكب المُذَنَّبُ.

فقال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: أي والذي نفسي بيده!!!

يا سلمان: وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظاً ويغَّنِظُ الكرام غيظاً ويحتقر الرجل المعسر، فعندها تقارب الأسواق إذ قال: لما أبع شيئاً وقال هذا: لم أربح شيئاً فلا ترى إلا ذاماً لله

يا سلمان: فعندها يليهم أقوام أن تكلموا قتلُوهمْ وأن سكتوا استباحوا حقهم ليستأثروا بفيئهم وليطؤنَّ حرمتهم وليسفكن دماءهم وليملؤونَّ قلوبهم دَغَلاً ورعباً فلا تراهم إلا وجلين خائفين، مرعوبين، مرهوبين.

قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: أي والذي نفسي بيده!!!

قال: جثتهم جثة الآدميين، وقلوبهم قلوب الشياطين، وعندها يكتفي الرجال بالرجال، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، وتُشَبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال ويركبن ذوات الفروج السروج.

عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحَلّى المصاحف، وتطوّل المنارات وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة، والسن مختلفة، وعندها تُحلّي ذكر أمتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج، ويتخذون جلود النمور صفاقاً

يا سلمان: وعندها يظهر الرِّبا ويتعاملون بالغيبة، والرشى، ويوضع الدين وترفع الدنيا

يا سلمان: وعندها يكثر الطلاق فلا يقام لله حدٌ ولن يضر الله شيئاً .

يا سلمان: وعندها تظهر القينات، والمعازف، ويليهم أشرار أمتي

يا سلمان: وعندها يحج أغنياء أمتي للنزهة، ويحج أوساطها للتجارة، ويحج فقرائهم للرياء والسمعة، فعندها يكون أقواهم يتعلمون القرآن لغير الله ويتخذونه مزاميراً، ويكون أقواهم يتفقهون لغير الله ويكثر أولاد الزنا ويتغنون بالقرآن ويتهافتون على الدنيا .

يا سلمان: ذاك إذا انتهكت المحارم، واكتسبت المآثم، وسُلِّطَ الأشرار على الأخيار، ويفشوا الكذب، وتظهر اللجاجة، وتفشوا الفاقة ويتباهون في اللباس،

ويمطرون في غير أوان المطر، ويستحسنون الكوبة[46] والمعازف، وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذل من شاتهِ.

يا سلمان: عندها يتكلم الرويبضة، فقال وما الرويبضة؟ قال: يتكلم في أمر العامة مَنْ لم يكن يتكلم فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى تخور الأرض خورةً فلا يظنْ كُلَ قومٍ إلا إنها خارتْ في ناحيتهم فيمكثون ما شاء الله، ثم ينكثون في مكثهم فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها".

قال: ذهب وفضة فيومئذٍ لا ينفع ذهب ولا فضة فهذا معنى قوله فقد جاء أشراطها.

الظلمات يوم القيامة

ومما يروى عن السيد سلمان الخيِّر رضي الله عنه وهو يعظ جرير قوله:

يا جرير تواضع لله عز وجل فإنه مَنْ تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة؟

([46]) الكوبة: الشطرنج والنرد.

هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا؟ قال ظلمْ الناس بعضهمْ في الدنيا .

الأرض لا تقدس أحداً

عن مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد إن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الخير رضي الله عنه: هَلُمَّ إلى الأرض المقدسة.

فكتب السيد سلمان الخير رضي الله عنه: إن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يُقدسْ الإنسان عملهُ، وقد بلغني إنك جُعِلتَ طبيباً فإنْ كنت تبرئ فنعماً لك، وإن كنت متطبباً فاحذر أن تقتل إنساناً فتدخل النار.

ومما روي عنه قوله: أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله" حلية الأولياء[47]

[47] (جـ1ص202).

المقداد بن الأسود الكندي

هو المقداد بن عمرو بن ثعلبَه بن قضاعة، وقيلَ من كِندة أبو معبد أو أبو عمرو نُسبَ إلى الأسود بن عبد يغوث الزهري لأنهُ تبناه في الجاهلية.

قال بن الكلبي: كان عمرو بن ثعلبَه أصاب دماً في قومه فلحق بحضرموتْ فحالف كندة فكان يقال له: الكندي، وتزوج هناك امرأة فولدت له المقداد فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي انتصاراً لله فضرب رجله السيف، وهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهري، وكتب إلى أبيه فَقَدِمَ عليه فتبنى الأسود المقداد فصار يقال: المقداد بن الأسود، وغلبت عليه، واشتُهِرَ بذلك، فلما نزلت: أدعُوهم لآبَائِهْم[48]قيل له: المقداد بن عمر، واشتهر بأبن الأسود، وكان فارساً شجاعاً، يقوم مقام ألفَ رجل على حد تعبير عمر بن العاصْ، وكان من الرماة المذكورين منْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أول فارس في الإسلام، وكان من الفضلاء النجاء الكبار، الخيار سريع الإجابة إذا دُعيَ إلى

([48]) (الأحزاب5)

الجهاد، حتى حينما تقدمت به سنه وكان يقول في ذلك: أبت علينا سورة التوبة القعود بقول رب العزة: "انفروا خفافاً وثقالاً"[49] وكان إلى جانب ذلك رفيع الخلق، عالي الهمة طويل الأناة طيب القلب عفيف الجوارح، وهو أول مَنْ قاتل على فرس في سبيل الله، هاجر إلى أرض الحبشة مع المهاجرين من الصحابة ثم عاد إلى مكة.

عمار بن ياسر رضي الله عنه الطيب المطيب

الصحابي الجليل أبو اليقظان عمار بن ياسر رضوان الله عليه بن عامر الكناني المذحجي العنسي القحطاني أحد السابقين في الإسلام، والجهر به صحابي من الولاة الشجعان ذوي الرأي، أسلم هو وأبوه ياسر وأمه سميه بنت خياط، فذاقوا العذاب من حلفائهم بني مخزوم ومات أبوه في العذاب، وطعن أبو جهل أمه بحربة فقتلها حين كانت تعذّب، وهي أول شهيدة في الإسلام، هاجر إلى الحبشة وعاد إلى المدينة وأبلى بلاءً حسناً في وقعة بدر، ووقعة الخندق وغيرها، حارب مع الإمام علي في صفين وقُتِلَ في معركتها وكان عمره أربع وتسعون عاماً سماه الرسول

[49] (التوبة41)

بالطيب المطيب وقيل عنه: إن عمار مُلئ إيماناً من قرنه إلى قدمه، واشتاقت الجنة إلى سلمان، وعمار وقال عنه: إن عماراً جِلْدَهُ، ما بين عيني وأنفي، وقال عنه: "مَنْ عاد عماراً عاداه الله ومَنْ أبغض عماراً أبغضه الله" .

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه، الصّادق الأمين

قام أبو ذر الغفاري عند الكعبة وقال: يا أيها الناس أنا جندب الغفاري هلموا إلى الأخ الناصح الشفيق، فاكتنفه الناس فقال: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفراً أليس يتخذ من الزاد ما يصلحهُ و يبلغهُ؟ قالوا: بلى قال: فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدونَ فخذوا منهُ ما يصلحكمْ، قالوا: وما يصلحنا ؟ قال: حجوا حجة عظائم الأمور صوموا يوماً شديداً حرهُ لطول النشور، صلوا ركعتين في سواد الليل لوحشةِ القبور كلمة خير تقولها ، أو كلمة سوء تسكت لوقوف يوم عظيمْ، تصَّدقْ بمالك لعلك تنجو من عسيرها ، اجعل الدنيا مجلسين: مجلساً في طلب الآخرة، ومجلساً في طلب الحلال، والثالث يضرك، ولا ينفعك لا تريده، اجعل المال درهمين درهماً تنفقه

على عيالك من حله، ودرهماً تقدمه لآخرتك، والثالث يضرك ولا ينفعك لا تريده، ثم نادى بأعلى صوته: يا أيها الناس قد قتلكم حرصٌ لا تدرِ كونه أبداً .

- جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر الغفاري مالنا نكرهُ الموتْ؟ فقال: **لأنكم** عمرتم الدنيا ، وأخربتم الأخرة، تكرهون إنّ تُنقلوا من عُمران إلى خرابْ، **فقال له:** كيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أما المحسن منكمْ كالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء منكمْ فكالآبق يرد إلى مولاه، قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ فقال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب، إن الله يقول: "**إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم**"[50] قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال:إنَّ رَحَمْةَ الله قَرِيب من المحسنين[51] .

وكتب رجل إلى أبي ذر رضي الله عنه: يا أبا ذر أطرفني بشيء من العلم؟ فكتب إليه: إن العلم كثير، ولكن إن قدرت على أن لا تسيء إلى من تحبه فافعل، فقال له الرجل: وهل رأيت أحداً يسيء إلى مَنْ يحبه؟ قال: نعم نفسك أحب الأنفس إليك، فإذا أنت عصيت الله فقد أسأت إليها .

([50]) (سورة الأنقطار 13-14)
([51]) (سورة الأعراف56)

وكتب أبو ذر إلى حذيفة بن اليمان يشكو إليه ما صنع به عثمان بن عفان، قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد يا أخي فخف الله مخافة يكثر منها بكاء عينيك، وحرّر قلبك، واسهر ليلك وانصب بدنك في طاعة ربك فحق ِلمَنْ عَلِمَ إن النار مثوى من سخط الله عليه، أن يطول بكاؤه ونَصَبَهُ وسهر ليلهُ حتى يعلم أنه قد رضي الله عنه، وحُقَّ لمن عَلِمَ أن الجنة مثوى من رضي الله عنه أن يستقبل الحق كي يفوز بها ويستصغر في ذات الله الخروج من أهله وماله وقيام ليله وصيام نهاره وجهاد الظالمين الملحدين بيده ولسانه، حتى يعلم إن الله أوجبها له وليس بعالم ذلك دون لقاء ربه. . .الخ.

عثمان ابن مظعون النجاشي رضي الله عنه

وبكاء الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم

عثمان بن مظعون النجاشي هو المعروف عند الموحدين برفاعة بن مظعون النجاشي وهو المتقشف المحزون الممتحن في دينه الممتلئ إيماناً وتوحيداً، وفي العبادة والطاعة ناسكاً وناشطاً لقد استجار بالوليد بن المغيرة، من اضطهاد

المشركين، ولحق بالموحدين لشد أزرهم والوقوف بجانب الرسول ومساعدتهِ، وفي أحد مجالسْ قريشٌ أنشدَ الشاعر لبيد بن ربيعة:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

قال عثمان ابن مظعون: كَذِبْتَ، بل إن نعيم أهل الجنة لا يزول، فلطمه أحد سفهاء قريشٌ على عينه (شلت يده وقطعت) وسالت الدماء الطاهرة من عينه الشريفة، فقال له المغيرة: يا ابن أخي؟ لقد كانت عينك عما أصابها لغيته؟ لقد كنت في ذمة منيعة، فأجابه عثمان بن مظعون رضي الله عنه: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر.[52]

ووصف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلك الحادثة شعراً قال:

أمن تذكُّر أقوام ذوي سفه يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين

([52]) (راجع السيرة النبوية لابن هشام جـ2ص21)

لا ينتهـون عـن الفحشاء ما سلمـوا والغـدر فيهـم سبيـل خير مأمــون

ألا تـرون أقـلّ الله خيـركُــم إنَّا غضبنـا لعثمـان مظعــون

إذ يلطمـون ولا يخشـون مقلتـه طعناً دراكاً وضرباً غير مأمــون

فسوف يجزيهم إن لم يمت عجلاً كيـلا يكيل جـزاءً غيـر مغبــون[53]

دخل عليه النبي وهو يحتضَر فانكب عليه يقّبلهُ فرفع رأسه عدة مرات ثم شهق، وعيناه تنهمران بالبكاء فقال: استغفر الله، استغفر الله وانتقل إلى رحمته تعالى سنة اثنتان من الهجرة.

وقيل فيه شعراً:

يا عين جودي بدمع غير ممنون على رزية عثمان بن مظعــون

على امرئ بات في رضوان خالقه طوبى من فقيد الشخص مدفــون

طاب البقيع له سكنى وغرقــدة واشـرقت أرضـه من بعـد تفتيـن

وأورث القلـب حـزناً لا انقطاع له حتى الممات فما ترقى لـه شـون[54]

([53]) (راجع (ص73) من ديوان علي بن أبي طالب تحقيق محمد عامر دار الحسين الإسلامية القاهرة)

ولما انتقل إلى جوار ربه قال الصحابة للرسول: يا رسول الله فارسك وصاحبك توفي وكان يُعّد خيارهم".

– ومن ناقلة القول أن نعرِّف به رضي الله عنه: هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب الجُمحي القرشي، وقيل كان عثمان بن مظعون أخاً للرسول من الرضاعة، وكان من حكماء العرب في الجاهلية، ومما ّيدل على حكمته قبل الإسلام، وسمو عقله ما اتفق عليه أصحاب السير والتاريخ، من أنهُ حّرم الخمرُ على نفسه في الجاهلية، وقال: لا اشرب شراباً يذهبُ عقلي، وقيل: إنه لما حُرّمت الخمر أتى وهو بالعوالي، فقيل له: يا عثمان قد حُرّمت الخمر؟ فقال: تباً لها قد كان بصري منها ثاقباً".

[54] (راجع الأصفهاني حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (جـ2 ص102 وسلمان الفارسي جامع علم الأولين والآخرين من ص276 ص277)

هؤلاء رضي الله عنهم وأرضاهم حدود الحق فهم قوام الله على خلقه، وعرفاؤه على عباده ولا يدخل الجنة إلا مَنْ عرفهم، وعرفوه ولا يدخل النار إلا مَنْ أنكرهم وأنكروه، فهم كنوز الرحمن إن نطقوا صدقوا وإن صمتوا لم يُسبقوا .

فمولانا العقل صلى الله عليه ابتعثه الله سبحانه وتعالى بالنور المضيء، والبرهان الجلي، والمنهاج البادي، والمعلوم الهادي، أسرته خير أسرة، وشجرته خير شجرة، أغصانها معتدلة وثمارها مهتدلة ارسله الباري عز وجل بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة متلاقية أظهر به الشرائع والنواميس، وقمع به البدع المدخولة وبيّن الأحكام المفصولة، ومَنْ يبتغي غير التوحيد مسلكاً وطريقاً تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكُن مآبهُ إلى الحزن الطويل والثواب الوبيل:

مولانا البطل المقداد الجليل الشجاع الكريم أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد التميمي كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشب، وكان إدامه الجوع وسِراجه بالليل القمر، وظلاله في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت

الأَرض، ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته ولا طمع يُذلَّه، دابته رجلاه وخادمه يداه.

ومولانا العالم الفقيه المتقي النقي التقي بهاء الدين علي بن أحمد الطائي رضي الله عنه وأرضاه ما سأل المولى عز وجل، إلا خبزاً يأكله لأنه كان يأكل خبز الأَرضْ، ولقد كانت خضرة الأَرض تُرى من شفيف (أي رقيق) صفاق (أي الجلد الباطن) بطنه الشريف لهزاله وتشذب لحمه)

وسيدنا الشيخ أبو القاسم نصر بن فتوح رضي الله وأرضاه كان يعمل سفائف الخوص بيديه الشريفتين ويقول لجلسائه: أَبِكمْ يكفيني بيعها، وكان يأكل قرص الشعر من ثمنها .

الفصل الثاني عشر

شيبتني هود وأخواتها

جاء في الحديث عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت.

قال: شيبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعَّم يتساءلون وإذا الشمس كورت" .

وروى القرطبي، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا علي السري يقول: رأيت النبي في المنام فقلت: يا رسول الله روي عنك إنك قلت: شيبتني هود قال: نعم، فقلت: ما الذي شيبك منها ؟ قصص الأنبياء، وهلاك الأمم؟ فقال: لا ولكن قوله: فاستقم كما أُمِرْتَ.

قال الحافظ المناوي في شرح كتاب فيض القدير: شيبتني هود: أي سورة هود وأخواتها ، أي وأشباهها من السور التي فيها ذكر أحوال القيامة، والعذاب، والهموم، والأحزان، إذا تقاحمت على الإنسان أسرع إليه الشيبُ في غير أوان.

قال المتنبي:

والهـم يخترم الجسم نحافـة   ويشيب ناصيـة الصبّـي ويهـرم

ولما فيها من ذكر الأمم وما حلّ بهم من عاجل بأس الله، فأهل اليقين الموحِّدين إذا تلوها انكشفت لهم من ملكه وسلطانه وبطشه وقهره ما تذهل منه النفوس، وتشيب منه الرؤوس فلو ماتوا فزعاً لُحقَّ لهم، لكن الله لطف بهم لإقامة ملكه، ونشر توحيده.

وقال ابن عباس: ما نزل على النبي آية كانت أشق، ولا أشد من قوله تعالى: فاستقم كما أمرت، ولذلك قال الرسول الكريم لأصحابه حين قالوا أسرع إليك الشيب قال: شيبتني هود .

فالفزع يورث الشيب قبل موعده، وهذه السورة اشتملت على الوعيد الهائل، والهول الطائل الذي يفطر الأكباد ويذيب الأجساد حيث قال سبحانه وتعالى عنه: "يوماً يجعل الولدان شيباً وإنما شابوا من الفزع.

وقال بعض أهل العلم: شاب النبي صلى الله عليه وسلم من هود وأخواتها، لما فيهن من التخويف الفظيع والوعيد الشديد لاشتمالهن مع قصرهنّ على حكاية أهوال الآخرة، وعجائبها، وفظائها وأحوال الهالكين والمعذبين مع ما في بعضهن من الأمر بالاستقامة، وهو من أصعب المقامات، وهو كمقام الشكر، إذ هو صرف العبد في كل ذرة، ونفس جميع ما أنعم الله به عليه من حواسه الطاهرة والباطنة إلى ما خلق لأجله من عبادة ربه، بما يليق بكل جارحة من جوارحه على الوجه الأكمل، ولهذا كما قيل للمصطفى وقد أجهد نفسه بكثرة البكاء والخوف والضراعة: اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً.

والمقصود من قوله: " شيبتني" ظهور آثار الضعف عليه قبل أوان الكبر، وليس المراد منه ظهور كثرة الشعر الأبيض عليه، لحديث أنس قال: ما عددت في رأس رسول الله ولحيته إلا أربع عشرة شعرة بيضاء، وذلك لما في هذه السور، من أهوال

يوم القيامة والمثلات أي العقوبات النوازل، كالأمم الماضية أخذ مني مأخذه حتى شبتُ قبل أوانه.

وقال ابن القيم: الذي شيب من هود، المصطفى: فاستقم كما أمرت ومن تاب معك، ولا تطغوا إنه بما تفعلون بصير"، لأن الاستقامة لا تكون عن هوى وإنما تكون الاستقامة على حسب ما أمرت ولا يستطيع الإنسان أن يستقيم كما أمر إلا بعد أن يعلم بماذا أمر، ثم بعد ذلك يستقيم عليه والاستقامة عزيزة ولذا كان عمر بن الخطاب يقول: "استقيموا ولا تروغوا روغان الثعلب"

نسأل الله سبحانه وتعالى: أن يلهمنا رشدنا وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه والحمد لله رب العالمين.[55]

([55]) (راجع رواه الترمذي برقم 97 32 وصححه الآليات في الصحيح برقم 955 تغير القرطجي جـ9 ص107- فيضعف القدير جـ4 ص222- شرح النووي على مسلم جـ2 ص9- رواه البخاري برقم 1130- رواه أحمد برقم 79 ؟؟؟!- سورة هود)

الفصل الثالث عشر

دموع الأمير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي رضي الله تعالى عنه وقدس الله روحه الطاهرة تتفجر من مقلتيه؟

سُئل الأمير السيد عبد الله التنوخي رضي الله عنه عن أول علم يُرفع من الناس فقال: الخشوع: فيوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً، وليس القرآن بحفظ الحروف، ولكن بإقامة الحدود وأول شيء ينزع من الأمة علم الفرائض حتى إذا فعلوا خمس عشر خصلة فيُحلُّ بهم البلاء: إذا كان المغنم دولاً، والأمانة مغنماً والزكاة مغرماً وأطاع الرجل زوجته، وعقَّ أمه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المعابد، وكان كبير القوم اسفلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشُربت الخمور ولبست الحرير واتخذت القيان والمعازف ولعن آخر هذه الأمة أولها، فيرتقب فيها إذاً الهلاك.

وسمعه أحد التلاميذ يقول ودمعه ينفجر من عينيه الطاهرتين وأوصاله ترتعد فقال رضي الله عنه: سيبلى القرآن الكريم في صدور أقوامٍ وعبادٍ كما يُبلى الثوب، يقرأ

ولا يجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف"، وقال: سيأتي على الناس زمان يأتي الرجل القبر، فيقول يا ليتني مكان هذا ليس به حب الله تعالى ولكن من شدة ما يرى من البلاء أي من شدة الإنكار والمشاق والمحن الواقعة للإنسان في نفسه وماله وولده حتى يذهب أكثر دينه.

- **توقيت الساعة:** بعض الفقهاء قد وقتوا الساعة فعرَّفهم الأمير السيد عبد الله التنوخي رضي الله عنه بذلك قائلاً لهم: تذكروا قول الله عز وجل: يسألونك عن الساعة قلّ إنما علمها عند ربي لا يُجلها لوقتها إلا هو، وقال: لا تأتيكم إلا بغته، أما أشراطها فهي علو أصوات أهل الفسق في المعابد[56][وملكه الأسرار وخرق له العادات، وقلّب له الأعيان وأظهر على يديه العجائب وأنطقه بالمغيبات وأجرى على لسانه لطائف الأسرار وأوقع له القبول التام في الصدور والبيعة العظيمة عند الخاص والعام، وجعله إماماً للمتقين وعلماً للهدى، ولد في الثاني عشر من ربيع الأول سنة العشرين وثمانمائة هجرية الموافق الثامن من أيار سنة السابع عشر

(56) هو أحد من أظهره الله إلى الخلق وصرفه إلى الوجود ومكنه من الأحوال

وأربعمائة وألف، نشأ من والدين كريمين من أهل الصلاح والدين] ، وظهور أهل المنكر على أهل المعروف عندئذ دع ما تنكر وخذ ما تعرف وكن جليس بيتك، أي ألزم الجلوس في دارك كلزوم المال والحكمة في تقديم أشراط الساعة، تنبيه العباد من رقدة الغفلة وحثهم على الآخذ بالاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإثابة وتأدية الحقوق إلى أصحابها.[57]

([57]) (راجع الصفحة 112 وما بعدها من كتاب الرسالة الموسومة نهر الجمان في شرح غريب آيات القرآن للأمير السيد) لمؤلفيه: القاضي ربيع زهر الدين والشيخ فرحان العريضي.

الفصل الرابع عشر

من علامات القيامة عند الموحدين

من المأثور عند الموحدين قولهم: "إنه عند استيفاء الأعمال يظهر السيد العظيم للجزاء ويجيء زمان الفعل بالثواب والعقاب" فمن العلامات الدالة على إتيان الساعة السؤال المذكور في المعلوم الشريف بقوله: وقد سُئل الإمام إليه التسليم ومنه السلام عن الساعة متى تقوم؟ فقال: إذا لم يبقَ في العالم شَرٌّ مُكمنٌ إلا ويظهر، وإنما تقوم الساعة على أشر الأمم بخير الأمم ومنها:

الغفلة: لقوله وارتقبوا الظهور فإنه يأتي في أغفل الأمور ومنها:

تقضي الأعوام والدهور وبقيت الأيام والشهور، ولم يبق لا أعوام، ولا دهور والأعوام جمع عام والمراد به هنا ألف سنة حسب مذهب التوحيد الشريف ومنها:

تقرب نون الكون بعد بُعدها من الكاف: يشير إلى قرب الآخرة من الدنيا لأن الكشف أول الآخرة، فالنون الآخرة والكاف الدنيا وأن آخر الدنيا يتصل بأول الآخرة.

وقد قيل شعراً:

إن الزمان قد تقضى وذَهَبَ وموعُد يوم الجزاء قد تعَّرض واقترب

ومنها: فتح القسطنطينية: وبعد فتحها يحل بالعباد الذُّلُّ الشامل، والسيف الصارم القاتل ومنها: التغييرات الواقعة في الأفلاك: وتقارب الأبعاد وتضايق الخطوط وتغير مدبرات الأفلاك، وطوالعها حيث إنها تغيرت عن مواضعها في الحركات وعلماء الأفلاك معترفون بذلك ومنها:

تهتك أستار إبليس: وتضائل أفعاله إلى الانسفال وافتضاح أمر مَنْ أتخذهُ للتأليه ومنها: اجتماع جميع الملل على قتل فرقة التوحيد، وتظاهر كافة الأمم عليهم

بالسَّب والقذف، والتشريد وتضيق على الموحدين المخلصين على الأرض بما رحبت أي اتسعت ومنها:

كثرة الهرج بأرض الأقباط: يعني مصر وبلادها، والهرج الفتنة، والاختلاف، وفسّرهُ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بالقتل كما بينه صاحب كتاب مختار الصحاح وروي عنه في كتب قصص الأنبياء ومنها:

تزلزل، وهدم قواعد مباني القسطاط: أي مصر العتيقة ويظهر بها الدعي المأبون (الدعي أي يدعو لنفسه والمأبون أي المتهم وهي إشارة إلى الدجال) .

ومن أعظم أشراط الساعة عند الموحدين

الدَّجال

ومن أعظم دلالات القيامة ظهور الأعور دَّجال القيامة، وسمي أيضاً عند الموحدين بدجال العرب لأن أكثر محنته تكون على بلاد الشام ومَنْ يليها ممن تكلم بلغة العرب ويكون دجال القيامة أعور، ويثور في يوم الكريهة من حلب، وعندما يصل إلى بلاد

حلب تميل إليه أهلها ويقيمون معه ويكونوا من أكثر أعوانه، ووصفه مولانا بهاء الدين رضي الله عنه على بالدعي المأبون المحملق المسعور (المحملق: أي المعيوبة حماليُقهُ والحملاق باطن أجفان العين الذي يسوِّدُ الكحل، وقيل: المحملق المقلوبة أجفان عينه) وحملق الرجل فتح عينيه، ونظر نظراً شديداً وذلك أن عينيه، معيوبتان أحدهما طافئة ذاهبة النور عمياء لا يبصر بها شيئاً، والثانية طافئة أي ناتئة حجرة كأنها عنبة لكن يُبصر بها، ومعنى المسعور المجنون، والسَّعر: الجنون وهو مَنْ تسعرّت النار إذا ألتهبت (يقال: ناقةٌ مسعورة فكأنها مجنونة من النشاط، والمفتون من الفتنة وهو الضلال ويقوم الدَّجال بالتعالي في البغُاء والشيطنة، والبَلَس، والانحراف ويكون ظهوره في آخر دور الدنيا، وآخر فراعنة الفترة المتفرعنين لأن ظهر قبله كثيرٌ من الفراعنة، ويكون هو آخرهم ظهوراً، والفراعنة جمع فرعون وهو العاتي وكلُّ عاتٍ فرعون وهو ذو فرعنة أي دهاء ومكر.

معنى الدجال: ومعنى الدجال في كتب اللغة الكذّاب، ويُقال: سيفٌ مَدْجَلٌ إذا طلي بالذهب وكل شيء غطيته فقد دجلته، ولُقبَ الدَّجال مسيحاً لأنه يمسح

الأرض كلها إما بنفسه وإما بدعاته، وتسرع دعاته في الآفاق وتسارع إليه أهل النفاق وقيل شعراً:

إن المسيح يقتل المسيح

أي أن السيد مسيح الحق يقوم بقتل المسيح الدجال (الكذاب) .

صفات الدَّجَّال: أنه رجل طويلٌ، عريضُ الصدر، أكحل، ضخم الجسم، وقيل قصير القامة، وليس له لحية، بل شاربان، على رأسه تاجٌ من ذهب، ولباسه أصفر، أعور العين، اليمنى مطموسة كأن عينه طافية مكتوب ما بين عينيه كافرٌ يقرأه كل إنسان، سواءً أكان يقرأ أو لا يقرأ، ويشبه رأسه رأس ميل وهي حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم وجهها كوجه الإنسان تثب على الفارس فتقتله، وأمه من أولاد الحواريين واسمها نرجس، ومن إمارات خروجه أن يهب الريح مثل ريح قومٍ عادَ ويسمعون صيحة عظيمة وذلك يكون عند ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعند كثرة الزنا، وسفك الدماء، وهتك النساء، وشرب الخمور، ولبس

الحرير، وترك الصلاة واتباع الشهوات والتردد إلى أبواب الملوك [وقد سئل مولانا بهاء الدين رضي الله عنه عن الدجال فقال:[**إن المولى عز وجل وتنزه عما يصفون ليس بأعور وإن الدجال: أعور عينه اليمنى كأنها عنبة طافية]** والذي يظهر من الروايات والأحاديث أن الدّجال يمتحن الله به عباده بما أوجده معه من الخوارق المشاهدة في زمانه فمن استجاب له يأمر السماء تمطر لهم، والأرض فتنبِت لهم زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم وترجع إليهم سماناً ومن لا يستجيب له يرد عليه أمره، تصيبهم السَنَة، والجدب، والقحط والعلة، وموت الأنعام ونقص الأموال والأنفس والثمرات، وتتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النمل فيضل به كثيراً ويهدي به كثيراً يكفر المرتابون ويزداد الذين آمنوا .

من أين يخرج الدجال:

من أرض المشرق من قرية يقال لها سر آباد بين مدينة هوازن وأصفهان، وقيل يخرج من المشرق من أرض خراسان يتبعه الأتراك، واليهود، والنساء، وأولاد الزنا ومن أتباعه، الأعراب والمومسات، ومعه أرباب الملاهي تقترب بين يديه الطبول والمعازف

والميدان والنايات والصنوج ومعه كثير من الأطعمة واللحوم والفاكهة والخمور، فمن آمن به أطعمه، وسقاه، وأحسن إليه، فلا يسمعه أحد إلا تبعه، إلا مَنْ عصمه الله، وروي عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من نبي إلا أنذر قومه من الدجال" ويخرج على حمار أبتر أي مقطوع الذنب وتظهر على يديه العجائب ويدعي أنه رب الخلائق فيأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت ويتناول السحاب بيده ويخوض البحر إلى كعبيه ويقتل رجلاً ثم يحييه، فيفتن الناس ويؤمنون به ويبايعونه ويدعي النبوة والألوهية.

انفراج الموحدين: وبظهور الدجال، وزمرته الفاسقة الحاقدة، يُفرج هم الموحدين لأنهم حينها يكونوا في أشد الضيق وتتسرع للخروج أسباب الحق الكنوز المخفية في الواحات أي الصين الجواني، ويفصل بين الصينين سَدُّ ذي القرنين الذي دخل منه المخزونون، ومنه يخرجون لخدمة أهل الحق، وقيل أن الذي بناه الإسكندر بناه من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلاليب من حديد، ونحاس مذاب في تجاويفها وبعد انتهاء الأجل المضروب الذي هو أيام المهل، وانجاز الوعد الذي لا يبور فتنبلج

البحور وتتزعزع الأرض للظهور، ويفتح سدٌ بناه الإسكندر، ويخرج بعساكر متتالية ورايات مقبلة، وكتائب متواصلة، وجماهير غفيرة، وجنود غزيرة ويصل إلى هَجَر وقد أشرق الكون بهم وأضاء وتباشر بهم كافة الموحدين.

وقد قال أحد الشعراء الموحدين مستبشراً بقدومهم:

أيا مرحباً حلَّ السرور مع الهنا	بإقدامهم وانحل عن ظهرنا العَنَا
أيا مرحبا جاءت بشائر أهلنا	بشائر تنبئ بالوصول إلى هَجرَ

وكادت أن تطير قلوب الموحدين من السرور، والغبطة، وتطاير البشائر في بلدانهم واتسع صدر كل واحد منهم وانشرح.

وهجر هي مدينة مشهورة في أقصى اليمن، وهي قاعدة بلاد البحرين، ومنها يكون ظهورْ قائم الحق ويكون لأهل التوحيد عند ظهور نعمة شاملة، وعلى المخالطين نقمة كاملة.

المهدي المنتظر عند الموحدين:

يقول الشيخ أبو عز الدين الناسخ رحمه الله:

ولا ملكاً إلا ولاقاه مسرعـاً

محثاً إليه وهو في غاية الذُّعر

حيث تجتمع الملوك به قبل أن يصل إلى مكة فيحقق العَالَم إنه المهدي الحقيقي والقائم المنتظر الذي يظهر في آخر الزمان يملئ الأرض عدلاً، وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، وإنه هو الذي إليه الإشارات والدلالات وإنه صاحب المعجزات الكاملة الحقيقية.

وقيل شعراً:

رَوَيْدَكَ مهدي الكون قد قام آمراً

وعما قليل سوف يأتيك زائراً

ويملك أقصى الأرض شرقاً ومغرباً

ويسمو على متن المجرة ظاهراً

وتأتي ملوك الأرض طوعاً لأمره

تدين له بالذل رغماً أصاغراً

ويملئ أقطار البسيطة عدلهُ

كما مُلِئت بالجور بَدْياً وآخراً

دابة الأرض: والمشهور إذا حضرت دابة الأرض بمكة تكلمهم فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين أي المشرق والمغرب والدابة هي إمام الزمان وهي المشار إليها بآية في القرآن وكلامها أن تقول لواحد: هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر.

وللقيامة أسماء كثيرة منها: يوم الفزع، ويوم الجزع، ويوم المسائلة، ويوم المسابقة، ويوم المنافسة، ويوم الزلزلة ويوم الدمدمة، ويوم الداهية، ويوم الأَزَفَة، ويوم الصاعقة، ويوم الواقعة، ويوم السماقة ويوم الحاقّة، ويوم الحساب، ويوم البكاء، ويوم الجزاء، ويوم المآب، ويوم الشقاء، ويوم الحشر: . . . .الخ

الثواب

فأما الثواب فمعناه في اللغة الجزاء على الطاعة، وترى الأولياء الصالحين ما يَسَّر القلوب وتقرّ به العيون، وإن في القيامة للمؤمنين الطائفين بحاراً طافية من النعيم السَّرمد، والثواب المخلد، والجزاء المؤبد مالا أذن سمعت، ولا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، ويرتع الموحدون المخلصون المقرون، بألوهية الباري سبحانه وتعالى، وأنه أحكم الحاكمين بالنعيم، والعز المقيم، ويأمنوا ويرتفع الخوف عنهم من العقاب ارتفاعاً كلياً كما ذكر الله عز وجل في محكم تنزيله: "فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لها من قرة عين جزاء بما كانوا يعلمون"[58]وهذا الوعد والأعداد من النعيمين: نعيم النفوس، ونعيم الأبدان. فنعيم النفوس: مشاهدة الرب سبحانه وتعالى الحاكم على كل حاكم وطاغي ومتجبر والمشاهدة تكون على الدوام وهو غاية النعيم.

([58]) (سورة السجدة الآية17)

أما نعيم الأجسام فغنى دائم بلا فقر وراحة كلية بلا عناء، وجمال خالص، بلا قبح وصحة دائمة بلا سقم ويكون الموحدين:

قلوبٌ بلا غِلٍ نفوسٌ بلا هَوَى

عقولٌ بلا كيد صدور بلا حقدٍ

وأعلم أخي الغالي مهما يصف في الدنيا من نعيم الآخرة، وعزها وسلطانها وسعادتها فلا مطمع في استيعابه ولا عُشر عشير معشار لأنه يفوق الحصر كما قال بعض الفضلاء من الموحدين الأتقياء الأنقياء: لو خلق الله عز وجل ألف كون مثل هذا الكون وملئ تلك الأكوان من الدرّ والجوهر الثمين لكانت أقل من معشار ما يستحقه فريق الهدى فلما استقر فريق الهدى على الطاعة التي مالا نهاية استحق الثواب الذي ما له نهاية.

العِقابـــــــــــ

فهو بكسر العين، من العقوبة، وبمعنى العذاب وهو الويل المذكور في قوله:

"الويل كل الويل لمن حاد عن طاعتي وصَدَف" يعني العذاب كل العذاب.

والعذاب عند الموحدين عذابين: عذاب النفوس، وعذاب الأجسام، عذاب النفوس: الحيرة، والحسرة والندامة، وعذاب الأجسام: السُّقم، والنكال ولبس الغيار، (أي يغيروها كل فترة) فمن عذاب النفوس في الآخرة الإياس من رحمة الله سبحانه وتعالى وحدوده الغر الميامين، ودوام الحسرة التي لا تفارقهم أبداً، وعدم مشاهدة الجلال بلذة وغبطة.

إن الغفلة عن البعث ونسيان يوم الحساب هو أصلٌ لكل ضلال: "إنَّ الذينَ يضلوُنَ عَنْ سبيلِ اللهِ لهم عَذَابٌ شديدٌ بما نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ"[59] وهو منشأ كل عمل سيء ولولا الثواب، والعقاب لم يكن ثمة، موجب يدعو للآخذ، بالدين، وللاعتقاد به والعمل بإحكامه، وتعاليمه "فمن كان يرجو لقاءَ ربِّهِ فليعمل عَمَلاً صَالِحاً ولا يشُرك بعبادةِ ربهِ أحداً"[60]

([59]) (سورة ص الآية 26)

([60]) (الكهف11.).

لقد رافقت المرحوم الشيخ الجليل أحمد سلمان الهجري رحمه الله عز وجل وأسكنه فسيح جناته لعدة سنوات وكان مؤمناً صادقاً وموحداً مخلصاً لله عز وجل يخشى الله ويتقيه ثابت على كلمة الحق مهما كانت العواقب صاحب رأي وفطنة، وذكاء، محبٌ لأقرانه ولداته، مخلصاً لإخوانه ناصحاً لهم وفياً في علاقاته وكان رحمه الله يردد على مسامعنا قوله: "الله يحسن خاتمتنا"، ويقول أيضاً: "الله يجمعنا في دار الأمان" ويقول أيضاً رحمة الله على روحه الطاهرة: "لا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم"

وعندما كنت أسأل شيخنا الجليل أحمد سلمان الهجري عن يوم القيامة يجيب، وعيناه الشريفتان تلمعان و تدمعان من شدة الإيمان والخشية من عذاب الرحمن: سيحدث عند قيام الساعة كما ورد في مجروية سيدنا الشيخ أبو حسين ابراهيم الهجري رضي الله عنه انقلابٌ كوني مدهش نعجز عن تصوره يشمل جميع ما نشاهده من شمس وغيوم وكواكب والأرض بجميع ما فيها" .

– **الزلازل:** إن الزلازل نوعان: زلازل حسية: ترّج الأرض فتدمر القرى، والمدن والمساكن، وزلازل معنوية: تزلزل الإيمان، والعقيدة، والأخلاق، والسلوك حتى يضطرب الناس في عقائدهم وأخلاقهم وسلوكهم فيعود الحليم العاقل حيران

– **تقارب الزمان:** أي يتقارب أهل الزمان وذلك بما يحصل من وسائل النقل السريعة التي نشاهدها كالسيارات، والطائرات أو أن معنى ذلك: إن الزمان يكون قصيراً لكثرة الغفلة وفشل الأعمال والأوقات حتى يمضي الزمن الكثير وما صنع الإنسان إلا شيئاً قليلاً وحتى إن الجمعة تأتي ويقول الإنسان هل هذا يوم السبت لسرعة الزمان مع الغفلة.

– **الفتن:** لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، وإن الفتن أنواع متنوعة: إما خير وإما شر حتى الخير ربما يكون فتنة كما قال الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله:

ونبلوكم بالشَّر، والخَيِّر فتنةً وإلينا تُرْجَعُونَ "[61] إن الفتن تكون في الخير وتكون في الشر قد يكون الإنسان فقيراً عابداً لله قائماً بالواجبات فإذا أغناه الله أنصرف عن

([61]) (الأنبياء35)

ذلك كله إلى دنياه فخسر الدنيا والآخرة. إن الفتن في الواقع يمكن أن نقول عنها بعبارة عامة: إنها كل ما يصد عن الإيمان بالله، والقيام بأمره، واتباع هدى توحيده، والابتعاد، والتبرؤ من العقائد الفاسدة، والأفكار الهدامة، والسلوك المنحرف.

وإن ظهور الفتن بالقتل، والسلب، والنهب، واتباع الشهوات دليل على ضعف العلم الصحيح، والمسلك الشريف والإيمان والتوحيد الخالص.

- الهرج:

وقال إن الساعة لا تقوم حتى يكثر الهرج وهو: القتل حتى يكثر القتل بين الناس سواء أكان ذلك بالحروب أو الاغتيالات، والانفجارات، وقد جرى ذلك فما أكثر الاقتتال بين بني آدم اليوم: قتال بين الكفار والكفار قتال بين المسلمين، والمسلمين قتال بين المسلمين والكفار قتالٌ بين الأحزاب والمذاهب.

فأما القتال بين المسلمين بعضهم مع بعض فإنه فتنة عظيمة يلتقي المسلمان بعتادهم الحربي فيقتل أحدهما الآخر وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "إذا ألتقى

المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار" قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟

قال: "إنه كان حريصاً على قتل صاحبه"

إن الفتنة بين المسلمين في القتل إنها تؤلم، وتجرح الفؤاد إنها تدمي الكبد إنها فتنة عظيمة يخشى أن يصاب الناس كلهم بهذه الفتنة.

ولا تقوم الساعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل و يقول: يا ليتني مكانه"

يقول ذلك لما يرى من الأمور العظام التي يفضل الموت عليها، من عظيم البلاء ورئاسة الجهلاء، وخمول العلماء، واستيلاء الباطل في الأحكام، وعموم الظلم واستحلال الحرام.

- هدم الكعبة ونهاية العرب:

من علامات الساعة وأشراطها أن يخرج ذو السويقتين من الحبشة ليخرب الكعبة ويهدمها، وذو السويقتين هو رجل حبشي له ساقان صغيرتان رقيقتان جداً من

هنا سمي ذو السويقتين لأن السويقة تصغير ساق الإنسان، ومما يروى عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قوله: يُخرِّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وفي رواية: ذو السويقتين من الحبشة يخرِّب بيت الله عز وجل[62] .

وقد تنبأ الرسول الكريم بهلكة العرب، ونهايتهم وذلك في ظروف مصاحبة لهدم الكعبة وتخريبها فقال: يبايع رجل بين الركن والمقام ولن يستحل هذا البيت إلا أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة العرب، ثم تجيئ الحبشة فتخربه خراباً لا يعّمر بعده أبداً وهم الذين يستخرجون كنزه[63] .

ويؤكد الرسول الكريم ذلك بقوله:

لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت[64] .

([62]) رواه مسلم عن أبي هريرة32.

([63]) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب الفتن والملاحم ج4 صـ453–

([64]) راجع كتاب المسيخ الدجال حقيقة لا خيال لمؤلفه عبد اللطيف عاشور صـ73ـــ مكتبة القرآن القاهرة 1988.

الفصل الخامس عشر

من علامات يوم القيامة ترك الصلاة وإهمالها

"إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً" وقال: "فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً" .

فمن علامات يوم القيامة إهمال الصلاة في المجالس، والخلوات، والزهد فيها إلا قلة قليلة من أهل الحق مواظبة في صلاتها، ومذاكرتها في خشية من الله سبحانه وتعالى ولصقل نفوسهم من أدران ما علق بها من هموم ومشاكل الحياة.

وإذا كنا نرى اليوم بعض المجالس والخلوات عامرة بالأجسام إلا أن بعض القلوب متنافرة مغروس، فيها حب الدنيا ومشبعة بالجاه، والتكبر على الآخرين والتفاخر بالآباء والأجداد وأيضاً بعض المزارات والمقامات إذا وجدناها غاصة بالناس فأن السواد الأعظم منهم يرتادونها للهو والتنزه، ولهذا شدد مولانا بهاء الدين رضي الله

عنه على الصلاة في أماكنها المخصص لها بقلبٌ خاشعٌ، وعينٌ دامعة حيث كان إذا دخل مسجد ريدان بالقاهرة المحروسة للصلاة والعبادة تغير لونه فقيل له: مالك يا مولانا ؟ قال: **[جاءت وقت أمانة عرضها الله على السماوات، والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقهن، منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً فلا أدري هل أحُسن أدائها أم لا؟]**

وكان الأمير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي رضي الله عنه إذا توضأ تغير لونه وارتعدت فرائضه فقيل له في ذلك: فقال: حُقَّ لمن وقف بين يدي ربه أن يصفرّ لونه وترتعد فرائصه.

وروي عن شيخنا الجليل أحمد مسعود الهجري رحمه الله تعالى قوله: إن مَنْ دخَلَ مجلس الحكيم شطنيل صلى الله عليه بنية صادقة، وعزيمة طاهرة خالياً من الأحقاد، والضغائن خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه شرط أن يكون تائباً مخلصاً ناوياً عدم العودة إلى المعاصي، لأن الصلاة تمنع من المعاصي وتنهي عن الفحشاء والمنكر.

وسئل الشيخ الجليل أحمد مسعود الهجري رحمة الله على روحه الطاهرة من أحد الشبان من بلدة كفر اللحف أثناء تشريف القرية بزيارته الميمونة المباركة بتاريخ 1947/6/17 إنه يكد ليل نهار ولا يستطيع إشادة دار لسكناه فأجابه رحمة الله على روحه الطاهرة: دخُول (أي أدخل) مجلس مولاي النفس في بلدكم وصلى وأأمر أهلك بالصّلاة فيه وأنت مخلص (أي بإخلاص) فإن الله سبحانه وتعالى "يأتيك بالرزق الحلال من حيث لا تدري"

وقد نُقل عن الشيخ الجليل أبو حسن يوسف جربوع رحمة الله على روحه الطاهرة قوله عندما كان يعظ في مجلس الذكر الطاهر بالسويداء قوله: إن مَنْ تهاون في تأدية واجب الصلاة في مجلس شطنيل الحكيم صلى الله عليه عوقب بما يلي:

أولاً: يرفع الله البركة من رزقه.

ثانياً: يرفع الله البركة عن عمره.

ثالثاً: يمحو الله سمة الصالحين من وجهه.

ربعاً: كل عمل يعمله من أعمال البر لا يؤجر عليه.

خامساً: لا يستجاب له دعاء.

سادساً: يموت ذليلاً ويموت جائعاً عطشاناً ولو سقي بأنهار الدنيا لم تروِه.

وسألت شيخنا الجليل أبو حسن عارف حلاوي تغمده الله بالرحمة والرضوان عند زيارته المباركة والتاريخية بوفد كبير من المشايخ الأطهار يترأسه شيخنا الجليل أحمد سلمان الهجري رحمه الله تعالى عن أسباب رفع اليدين في الصّلاة والدعاء، فقال يا بعدي هذه إشارة إلى رفع الحجب بين العبد وبين المولى عز وجل والافتقار إليه سبحانه وتعالى"

وسألت شيخنا الجليل أبو حسين محمد الحناوي رحمة الله على روحه الطاهرة.

عن ضرورة الصلاة والمذاكرة في مجلس الذكر؟ فقال: إن الصلاة في مجلس الذكر تريح القلب وتزيل الهم والغم، إذا كانت صادقة، لا يشوبها الكِبرَ.

وسألت شيخنا الجليل: أبو حسين أحمد سلمان الهجري رحمة الله على روحه الطاهرة عن معنى كلمة الغربلة؟ فقال بلسان هادئ، وثقة بالنفس عارمة هذا زمان الغربلة والناس قد نكثت عهودها، واختلفت فيما بينها فكانوا هكذا [وشبَّك بين أصابعه] والحذر واجب في هذه الأيام.

الفصل السادس عشر

سؤال وجواب؟

سأل أحد التلاميذ أستاذه قائلاً له: هل الله سبحانه وتعالى موجوداً؟ وإذا كان موجوداً ما هو شكله؟

فأجابه الأستاذ: إذا كان الشيطان مخلوقاً من نار فلماذا يلقى فيها بعد ذلك، وهي لن تؤثر فيه؟ ثم قام المعلم وصفع التلميذ صفعة قوية على وجهه، فقال التلميذ مستغرباً ومستنكراً وهو يتألم: لماذا صفعتني؟ وما الذي جعلك تغضب مني؟

أجاب المعلم: لست غاضباً وإنما هذه الصفعة هي الإجابة على أسئلتك؟

التلميذ: وكيف ذلك؟

المعلم: ماذا تشعر بعد أن صفعتك؟

التلميذ: بالطبع أشعر بالألم، والاستغراب.

المعلم: هل تعتقد أن هذا الألم موجود؟

التلميذ: نعم

المعلم: أرني شكله؟ التلميذ: لا أستطيع

المعلم: هل خطر في بالك أني سأصفعك اليوم؟

التلميذ: لا!

المعلم: هذا هو القضاء والقدر، ثم أضاف: يدي التي صفعتك بها مما خُلقت؟

التلميذ: من الطين!

المعلم: ماذا تشعر بعد أن صفعتك؟ التلميذ: أشعر بالألم.

المعلم: تماماً، فبالرغم من أن الشيطان مخلوق من نار ولكن إذا شاء الله سبحانه وتعالى فستكون النار مكاناً أليماً للشيطان.

أهم المراجع والكتب:

1. القرآن الكريم
2. الجواهر في عقوبة أهل الكبائر للشيخ زين الدين المليباري المكتبة الحديثة.
3. كتاب الكبائر الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي دار كرم دمشق.
4. أهوال القبور وما بعد الموت علي الطنطاوي دار النشر دمشق.
5. النهاية فتن وأهوال آخر الزمان لابن كثر مكتبة التراث الإصلاحي.
6. مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون مؤسسة الأعلمي للطباعة لبنان.
7. المنجد في اللغة دار المشرق بيروت.
8. من دخائن الكنوز للقاضي ربيع زهر الدين.
9. اليوم الآخر عبد القادر الرحباوي دار السلام 1987م.
10. نهر الحماية في شرح غريب آيات القرآن جمعه من مصادره القاضي ربيع زهر الدين والشيخ فرحان العريضي لبنان ـ عاليه
11. المعاد لمرتضى مطهري ترجمة جواد كسّار نوسة الثقلين لبنان 1419هـ.
12. المهدي المنتظر في الفكر الإسلامي مركز الرسالة.
13. يوم الخلاص كامل سليمان دار الكتاب اللبناني.
14. المهدي صدر في إيران 1358هـ.
15. خواطر ماسمعته من المشايخ الأطهار للقاضي ربيع زهر الدين.

16. نهج البلاغة بيروت المكتبة الأهلية.

17. نوائب الدهور في علائم الظهور لمحمد حسن مهاجري طهران 1883هـ.

18. ينابيع المودة القندوري إسلامبول 1301هـ.

19. الأخلاق النفسية لأحمد بن عمر بن رستم ليون 1891هـ.

20. إعلام الورى بأعلام الهدى القبرسي 1338هـ.

21. الإمام المهدي علي دخيل.

22. البيان والتبيين للجاحظ 1947دمشق.

23. تاريخ سنيَّ ملوك الأرض والأنبياء للأصفهاني بيروت 1962م.

24. سلمان الفارسي جامع علم الأولين والآخرين تأليف القاضي ربيع زهر الدين دار كرم بدمشق 1999م.

25. المقداد بن عمرو للشيخ عبد الوهاب أبو فخر تقديم القاضي ربيع زهر الدين دار كرم بدمشق.

26. الملاحم والفتن ابن طاووس 1382هـ.

27. ينابيع الهدى تأليف القاضي ربيع زهر الدين.

28. قصة النبي هابيل عليه السلام تقديم ومراجعة سماحة مشايخ العقل تأليف القاضي ربيع زهر الدين.

29. مختار الصحاح معجم.

30. لسان العرب المحيط لابن منظور.

الفهرس